سلامتهم من الشحناء والعصبية واستفاضة عدالتهم كثيرون لا قليلون كما افتراه نعمان الالوسي في مجموعته المتقدم ذكرها وكما افتراه الحقير ابو بكر بن محمد خوقير تاجر ادكتب باحد ابواب المسجد الحرام المعروف بباب السلام والقرينة الدالة على سبب جرحه وعدم ثبوت عدالته وفساد عقيدته ما ذكره في كتبه وما سمع منه وما روي بخطه واثبته بعض مادحيه من النزغات التي لا تقبل التاويل اصلا مع انه لا يرتكب الا في كلام المعصوم فقط فكلام الطاعنين في ابن تيمية المذكور داخل تحت القاعدة المذكورة ولا ينكر ذلك الا من حصل له عمى العينين وخسر مجموع الصفقتين اللهم الا ان يكون الشيخ احمد بن تيمية المذكور قد تاب واحسن الى ربه المآب حتى يرجى له الخير والسلامة من الضير فان الاعمال بالخواتيم والله سبحانه وتعالى رؤف رحيم . و بالجملة فالمسئلة الاصلية واضحة جلية قد افردت بالتآليف فلا حاجة الى الاطالة باكثر مما ذكرناه فان من نور الله بصيرته يكتفي باقل من هذا ومن طمس الله بصيرته فما تغني عنه الآيات والنذر

﴿ الباب الخامس ﴾

(في الكلام على التوسل بالانبياء والصالحين واثبات الكرامات في الحياة « و بعد الممات ورد شبه المنكرين »)

منع الوهابية سؤال الله تعالى والتوسل والتشفع اليه سبحانه وتعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم و بغيره من الانبياء والاولياء والصالحين مطلقاً (١) مدعين ان ذلك ان لم يكن من الشرك بالله تعالى يؤدي اليه وتخيلوا ان منع ذلك انما هو لاجل المحافظة على التوحيد وانكروا جواز الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم وكذا بغيره ممن ذكروا بل تجاوزوا الحد فزعموا ان الاستغاثة بهم ونداءهم

(١) قوله مطلقاً اى احياء واموانا باي صفة كانت اه لمؤلفه

عند ذلك شرك اكبر وتمسكوا بامور منها · قولهم انا قد راينا بعض العامة ياتون فيما ذكر بالفاظ توهم انهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى و يطلبون من الصالحين احياء وميتين اشياء جرت العادة بانها لا تطلب الا من الله تعالى و يقولون للنبي اوللولي افعل لي كذا وكذا وهذا النبي او الولي ينفعني عند التوسل به مع ان الميت لا يقدر على شيء اصلاً اذ لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم بل يصير ترابا وانهم ربما يعتقدون الولاية في اشخاص لم يتصفوا بها بل اتصفوا بالتخليط وعدم الاستقامة و ينسبون لهم كرامات وخوارق عادات واحوالاً ومقامات وليسوا باهل لها ولم يوجد فيهم شيء منها ولا يمكن منع العامة من التوسمات التي ابتدعوها في الدين الا بمنع التوسل وما ذكر معه دفعاً للايهام المذكور وسداً للذريعة وان كنا نعلم ان العامة لا يعتقدون تاثيرا ولا نفعاً ولا ضراً الا لله تعالى ولا يقصدون بالتوسل ونحوه الا التبرك ولو اسندوا للاولياء شيئاً لا يعتقدون فيهم تاثيراً · ومنها قولهم ان الله قد نهى المؤمنين عن مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ما يخاطب به بعضهم بعضاً كان ينادوه باسمه في قوله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) وقياساً على ذلك يقال لا ينبغي ان يطلب من غير الله تعالى كالانبياء والصالحين الاشياء التي جرت العادة بانها لا تطلب الا من الله تعالى لئلا تحصل المساواة بين الله تعالى وخلقه بحسب الظاهر وان كان الطالب من الله تعالى على انه الموجد للشيء والمؤثر فيه ومن غيره على انه سبب عادي لكنه يوهم التأثير فالمنع من ذلك الطلب لدفع هذا الايهام · ومنها قولهم انه لم يأته احد من الصحابة ولا من سلف الامة وخلفها الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم و يطلب منه شيئاً مع انه كانت تصيبهم نوائب شديدة ومن يدعي ذلك فعليه البيان · ومنها قولهم ان المتوسلين بالنبي صلى الله عليه وسلم

وكذا بغيره من الانبياء والاولياء والصالحين مثل المشركين الذين كانوا يقولون في اعتذارهم عن عبادتهم للاصنام (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى هؤلاء شفعاؤنا عند الله) لان المشركين ما اعتقدوا في الاصنام التأثير وانها تخلق شيئاً بل كانوا يعتقدون ان الخالق هو الله تعالى بدليل (ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله) ونحوه فما حكم الله تعالى عليهم بالكفر والاشراك الا لقولهم المذكور فهؤلاء مثلهم

واقول كل هذا الذي زعموه باطل وما تمسكوا به عاطل لاينتج لهم شيئاً من مرامهم · وبيان ذلك ان التوسل قد صح صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم وجرى عليه اصحابه وسلف الامة وخلفها بصيغ كثيرة تعلم مما يأتي :

فاما صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم فقد صح في احاديث كثيرة ·منها مافي ادعية الصباح والمساء وهو : اسألك بنور وجهك الذي اشرقت له السموات والارض وبكل حق هو لك وبحق السائلين عليك ان تقبلني في هذا الغداة او في هذه العشية وان تجيرني من النار بقدرتك ·وهذا توسل لاشك فيه وهو بعض حديث طويل مذكور في حصن ابن الجزري وغيره رواه الطبراني في الكبير والدعاء له عن ابي امامة الباهلي رضي الله تعالى عنه وصححه الحافظ الكبير عبد الغني المقدسي مؤلف الكمال في اسماء الرجال كما نقله عنه ملا علي في شرح الحصن وليس فيه طعن اصلاً وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو به وكذلك الصحابة ومن بعدهم رضي الله تعالى عنهم فانظر قوله بحق السائلين عليك فان فيه التوسل بحق كل عبد مؤمن ·ومنها مافي دعاء الخارج الى الصلاة المروي عند ابن ماجه بسند حسن صحيح كما قاله السيد مرتضى الزبيدي وغيره عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من خرج من بيته الى الصلاة فقال اللهم اني اسالك بحق السائلين عليك واسالك بحق ممشاي(١) هذا اليك فاني لم اخرج اشرا ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك ان تنقذني (٢) من النار وان تغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت يا ارحم الراحمين يا اكرم الاكرمين اقبل الله عليه بوجهه اى بمزيد اكرامه وانعامه واستغفر له سبعون الف ملك . وهذا الحديث قد اخرجه ايضاً الامام احمد ورواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد والبيهقي في كتاب الدعوات وابو نعيم في عمل اليوم والليلة والطبراني في كتاب الدعاء كلهم عن فضل ابن مرزوق عن عطية هو العوفي عن سعيد الخدري المذكور رضي الله تعالى عنه قال السيد مرتضي وعطية العوفي صدوق في نفسه حسن له الترمذي عدة احاديث بعضها من افراده وانما ضعف من قبل التشيع ومن قبل التدليس قال وقد روي نحو هذا الحديث عن بلال رضي الله تعالى عنه اي من غير طريق العوفي المذكور فرواه الامام ابو بكر بن السني اي باسناد صحيح ولفظه : حدثنا محمد بن عبد الله البغوي حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا علي بن ثابت الجزري عن الوازع بن نافع عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما عن بلال رضي الله تعالى عنه مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان

---

(١) قوله ممشاي الممشي مصدر ميمي بمعنى المشي وهو الانتقال من مكان الى مكان بارادة والاشر محركة كفر النعمة والبطر كذلك بمعناه وقيل الاشر شدة البطر فهو ابلغ منه والبطر ابلغ من الفرح اذ الفرح وان كان مذموماً غالباً فقد يحمد على قدر ما يجب وفي الموضع الذي يجب (فبذلك فليفرحوا) وذلك لان الفرح قد يكون من سرور بحسب قضية العقل والاشر لا يكون الا فرحاً بحسب قضية الهوى والسخط الغضب الشديد المقتضي للعقوبة والمراد هنا انزال العذاب اه من شرح الاحياء

(٢) قوله ان تنقذني اي تخلصني من عذاب النار اه

النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرج الى الصلاة قال بسم الله آمنت بالله توكلت على الله لا حول ولاقوة الا بالله اللهم اني اسالك بحق السائلين عليك وبحق مخرجي هذا فاني لم اخرج بطراً ولا اشرا ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك اسالك ان تعيذني من النار وتدخلني الجنة . واخرجه الدار قطني في الافراد من هذا الوجه ولكنه قال تفرد به الوازع وقد قال ابو حاتم وغيره انه متروك . وقال ابن عدي احاديثه كلها غير محفوظة اه . اقول لكن قد علمت ان سنده حسن صحيح عند ابن ماجه وابن السني وان راويه عن ابي سعيد رضي الله تعالى عنه وهو العوفي قد حسن له الترمذي وانه لم ينفرد به والترمذي امام حافظ ثقة نقاد وحكمه على الحديث عند اهله معتبر جداً . وقد ذكر السيد مرتضي في ترجمة الامام ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه من شرح الاحياء انه روي عن العوفي المذكور فهو من جملة شيوخ ابي حنيفة الثقات(١) المعتبرين كما حكى ذلك غير واحد من اجلة المحدثين كالنووي في تهذيب الاسماء واللغات والحافظ المزي في تهذيب الكمال وشيخ الاسلام العسقلاني وايضاً قد ذكر هذا الحديث الجلال السيوطي في الجامع الكبير وصاحب الاقناع في متنه وابن الجزري في الحصن مع التزام ان يكون جميع مافيه صحيحاً والنووي في الاذكار وذكر ايضاً كثير من الائمة في كتبهم عند ذكر الدعاء المسنون عند الخروج الى الصلاة حتى قال بعضهم انه قد صح في احاديث كثيرة انه صلى الله عليه وسلم كان يامر اصحابه ان يدعوا بهذا الدعاء وانه ما من احد من السلف الا وكان يدعو به عند

(١) قوله الثقات جمع مذكر سالم فتاؤه مفتوحة تاء تأنيث لا هاؤه المربوطة كما في التصريح ومفرده ثقة صفة للشخص الموثوق به وقد غلط بعض الناس في رسمه بالهاء مع انه جمع سالم صفة لمذكر كما علمت اه لمؤلفه

خروجه الى الصلاة واحتج به العلماء والموثوق بهم على جواز التوسل وحينئذ فهو حجة عليه بلا شك فليعلم . ومحل الاستدلال قوله أسالك بحق السائلين عليك و بحق مخرجي هذا و بحق ممشاي فعلم من هذا كله ان التوسل صدر من النبي صلى الله عليه وسلم وامر اصحابه ان يقولوه ولم يزل السلف من التابعين ومن بعدهم يستعملون هذا الدعاء عند خروجهم الى الصلاة ولم ينكر عليهم احد في الدعاء به .

ومنها انه صلى الله عليه وسلم كان يقول في بعض ادعيته بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي رواه الطبراني بسند جيد كما قال العلامة المحقق في الجوهر المنظم والسيد السمهودي والقسطلاني وهو توسل به و بالانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام بلا شك فكيف تمنع امته منه وهذا اللفظ قطعة من حديث طويل رواه الطبراني في الكبير والاوسط وابن حبان والحاكم وصححوه عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال لما ماتت فاطمة بنت اسد بن هاشم ام علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وكانت ربت النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها وقال رحمك الله يا أمي بعد امي وذكر ثناءه عليها وتكفينها ببردة وامر بحفر قبرها قال فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده واخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه . ثم قال الله الذي يحيي و يميت وهو حي لا يموت اغفر لامي فاطمة بنت اسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والانبياء الذين من قبلي فانك ارحم الراحمين . وروى ابن ابي شيبة عن جابر رضى الله تعالى عنه مثل ذلك و كذا روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ورواه أبو نعيم في الحلية عن انس رضي الله تعالى عنه ذكر ذلك كله الحافظ جلال الدين السيوطي في جامعه الكبير . وقد صدر التوسل ايضاً من سيدنا

آدم عليه السلام حين اكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عنها ثم ندم كما رواه البيهقي باسناد صحيح في كتابه المسمى دلائل النبوة الذي قال فيه الحافظ الذهبي عليك به فانه كله هدى ونور · فرواه عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب اسألك بحق محمد الا ما غفرت لي فقال الله تعالى يا آدم كيف عرفت محمدا ولم اخلقه(اي جسده) اذ نوره خلق قبل جميع الخلق فقال يارب لانك لما خلقتني بيدك اي بقدرتك ونفخت فيّ من روحك اي من سرك الذي خلقته وشرفته بالاضافة اليك اذ قلت (ونفختُ فيه من روحي) قال رفعت راسي فرايت على قوائم العرش مكتوباً لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا احب الخلق اليك فقال له الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الي واذ سالتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك رواه ايضاً الحاكم وصححه والطبراني وزاد فيه وهو آخر الانبياء من ذريتك · قال العلامة المحقق في الفتاوي الحديثية وفي سند هذا الحديث · او قال ابن عدي فيه احاديثه حسان وهو ممن احتمله الناس وممن يكتب حديثه وتضعيف غيره له قليل ومجبور اه وقال الحافظ عبد الوهاب القسطلاني في المقصد الاول من المواهب وهو محدث(١) خبير ثقة باتفاق مانصه : روى انه لما خرج آدم من الجنة رأى مكتوباً على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة اسم محمد صلى الله عليه وسلم مقروناً باسم الله تعالى فقال يارب هذا محمد من هو فقال عز وجل هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك فقال يارب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودي يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد في اهل السموات والارض لشفعناك اه وانشدوا

(١) قوله وهو محدث الخ قصد بذلك الرد على نعمان الالوسي في جلاء العينين اه لمؤلفه

وما عجبٌ اكرام الف لواحد   لعين تُفدى الفُ عين وتكرم

والمراد بالحق في هذه الاحاديث ما جعله الله تعالى على نفسه بفضله ورحمته من نحو اجابة السائلين واثابة المطيعين وذلك من افعاله عز وجل كما في قوله تعالى (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) وكما في قوله تعالى (.وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن)وكما في الحديث الصحيح عند البخاري حق العباد على الله تعالى اذا اطاعوه ان لايعذبهم وكما في حديث انس المروي في الصحيح ايضاً ان حقاً على الله تعالى ان لا يرفع شيئاً من هذه الدنيا الا وضعه لا الواجب اذ لا يجب على الله تعالى شيءٌ او المراد بحقه صلى الله عليه وسلم واخوانه النبيين وحرمتهم وتبعتهم ومنزلتهم عند الله تعالى من تقربيهم والتفضل عليهم ما يليق بهم او الحق الذي جعله الله تعالى لهم على الخلق من وجوب الايمان بهم وتعظيمهم قال ملاّ علي قاريءٌ او الحق مصدر لا صفة مشبهة فالمعنى بحقية نبيك والانبياء اي بكونهم حقاً لا بكونهم مستحقين اه ومع هذا فالكلام انما هو في اطلاق اللفظ لا في بيان المعنى وقد ثبت بالنصوص المتقدمة ولا ندعي ان لاحد على الله تعالى حقاً غصباً عليه تعالى الله عن ذلك بل هو تفضل وتكرم كما تقرر فالمعنى بهذا متفق عليه . ثم ان السؤال به صلى الله عليه وسلم وكذا بغيره من عباد الله الصالحين ليس سؤالاً لهم حتى يوجب اشتراكاً (١) كما زعم الملحدون وانما هو سؤال الله تعالى بمن له عنده قدر عليٌّ ومرتبة رفيعة وجاهٌ عظيم فمن كرامتهم على ربهم ان لا يخيب السائل بهم والمتوسل اليه بجاههم خصوصاً السيد الاعظم نبينا الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) قوله اشتراكاً اى بين الخالق والمخلوق اه لمؤلفه

قصة مالك مع المنصور ثاني خلفاء بني العباس

و يكفى في هوان منكر ذلك حرمانه اياه . والى توسل سيدنا آدم عليه السلام اشار الامام مالك رضي الله تعالى عنه للخليفة المنصور وذلك انه لما حج المنصور وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم سأل الامام مالكا رضي الله تعالى عنه وهو بالمسجد النبوي في جم غفير من الناس فقال لمالك يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو أم استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وادعو فقال له الامام مالك ولمَ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك(١) ووسيلة ابيك آدم الى الله تعالى بل استقبله واستشفع به اي اطلب منه الشفاعة لان السين والتاء للطلب فيشفعه الله فيك قال الله تعالى(ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا) ذكره القاضي عياض في الشفاء وساقه باسناد صحيح لا مطعن فيه اصلاً . وذكره الامام السبكي في شفاء السقام والسيد السمهودي في خلاصة الوفا والحافظ القسطلاني في المواهب والعلامة المحقق في الجوهر المنظم وذكره كثير من ارباب المناسك في آداب الزيارة فدعوى الشيخ الفاسي في شرح دلائل الجزولي انه قد روى عن مالك لا يتوسل الى الله تعالى بمخلوق اصلاً باطلة لان هذه الرواية لم تعرف عن مالك اصلاً ولم ينقلها عند احد من فقهاء مذهبه وهم ادرى به فلو كانت هذه رواية اخرى له لبينوها ولكان المحرومون اسرعوا الى التعلق بها ولم يحصل فاحذر ذلك . قال العلامة المحقق في كتابه المذكور وانكار ابن تيمية لهذه الحكاية عن مالك حتى لا يرد عليه انكاره التوسل والتشفع به صلى الله عليه وسلم من خرافاته وتهوراته كيف وقد جاءت

(١) قوله وسيلتك الخ الوسيلة السبب المتوصل به الى اجابة الدعاء وكني ؟ آدم عن جميع الناس اى هو الشفيع المشفع المتوصل به الى الله تعالى اه زرقاني على المواهب

عن مالك بالسند الصحيح الذي لامطعن فيه اه وقال الشهاب في نسيم الرياض تحت هذه القصة المذكورة · وفي هذا رد على ماقاله ابن تيمية في منسكه من ان استقبال القبر الشريف في الدعاء عند الزيارة امر منكر لم يقل به احد ولم يرو الا في حكاية مفتراة على الامام مالك قال : يعني هذه القصة التي اوردها المصنف رحمه الله تعالى ولله دره حيث اوردها بسند صحيح وذكر انه تلقاها عن عدة من ثقات مشايخه فقوله انها مفتراة كذب محض ومجازفة من نزغاته وقوله لم يقل به احد ولم يرو باطل فان مذهب مالك واحمد والشافعي رضي الله تعالى عنهم استحباب استقبال القبر الشريف في السلام والدعاء وهو مسطر في كتبهم وصرح به النووي في اذكاره وايضاحه وقد نقل عن ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه انه يستقبله صلى الله عليه وسلم في الزيارة ثم يستقبل القبلة بعده ويدعو كما ذكره السروجي من ائمتنا اه كلام الشهاب : وستعلم قريباً ان هذا النقل عن ابي حنيفة مردود و باطل وانه موافق للائمة الثلاثة فيما تقدم · ثم قال واستدل الامام مالك بآية (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك) الى آخرها على ما ادعاه من التوسل به صلى الله عليه وسلم وقبول التوسل به كما ينادي عليه (لوجدوا الله تواباً رحيماً) لتعليق قبول استغفارهم على استغفاره صلى الله عليه وسلم بهم واستؤنس به لاستحباب استقباله ايضاً دون استقبال القبلة لانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره يسمع دعاء زائره ومن جاء معظماً لرجاء شفاعته له لاشك في انه يتوجه اليه بقلبه وقالبه كما قاله ابن المقري رحمه الله تعالى فتدبر اه

وقال العلامة الحافظ الزرقاني في شرحه على المواهب روى هذه القصة ابن فهر باسناد جيد ورواها القاضي عياض في الشفاء باسناد صحيح رجاله ثقات ليس في اسنادها وضاع وكذاب اه يريد بذلك الرد على من لم يصدق رواية ذلك

عن الامام مالك وهو ابن تيمية الذي نسب في منسكه له كراهية استقبال القبر الشريف في حالة الدعاء . قال السيد احمد دحلان في درره : ونسبة هذه الكراهة الى الامام مالك مردودة اه . لكن في الجوهر المنظم ان للامام مالك قولاً بان الشخص لا يستقبل القبر الشريف للدعاء بل للسلام فقط وان الاستقبال لها مذهب جمهور العلماء . وجمع بين القولين (١) بان الاول فيمن يعرف آداب الدعاء وشروطه ومحظوراته والثاني في الجاهل بذلك قال لانه يخشى منه ان يأتي في حضرته صلى الله عليه وسلم المعظمة بما لا ينبغي اه . فلعل السيد احمد دحلان قد حرر المسئلة من كتب المالكية فقد اجمع علماء المناسك المعول عليهم في النقل والعمل من كل مذهب على ان استقبال قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقت الزيارة والدعاء افضل من استقبال القبلة لان استدباره خلاف الادب الواجب في حقه صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً كما ستعرفه و يؤيد السيد الدحلان ما في شرح العلامة الزرقاني على المواهب فانه رد على ابن تيمية دعواه على الامام مالك السابقة بقوله يقال له في اي كتاب نص مالك على الكراهة ثم ساق ما لاصحاب مالك وائمة مذهبه ثم قال افما يستحي هذا الرجل من تكذيبه بما لم يحط بعلمه فان الجمهور ومنهم الشافعية والمالكية والحنفية على الاصح عندهم كما قال الكمال ابن الهمام على استحباب استقبال القبر الشريف واستدبار القبلة لمن اراد الدعاء اه

وكان العلامة المحقق اخذ ماذكره في الجوهر من قوله في المبسوط لا أرى ان يقف عند القبر يدعو لكن يسلم و يمضي كما يلوح من الجمع الذي ذكره واصله

(١) قوله جمع بين القولين الخ رده الزرقاني على المواهب بان المعتمد رواية ابن وهب ولو للعامة لكن يعلمون و ينهون عما لا ينبغي الدعاء به كما اقتضاه كلام العلامة الشيخ خليل في مناسكه (اه) لمؤلفه

لابن فرحون لكن ذلك مردود بان الذي ذكر في المبسوط ليس فيه تصريح بالكراهة لجواز انه اراد خلاف الاولى وبأن الذي روى الاستقبال للقبر الشريف في الدعاء هو ابن وهب وروايته مقدمة لاتصالها على رواية المبسوط لان صاحبه لم يدرك مالكاً فهي منقطعة بخلاف ابن وهب فانه من اجل اصحاب مالك أخذه من قول ابن فرحون المالكي نقلاً عن الشفاء . اختلفَ اصحابنا في محل الوقوف للدعاء مع انه مردود بان لم يذكر خلافاً في ذلك وانما ذكر هل يدعو ام لا واذا دعا يستقبل القبر قطعاً كما بسطه العلامة الزرقاني وغيره من متاخري محققيهم فتأمل

﴿ رد ما نسبه محمود الالوسي في تفسيره الى مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه وما تمسك به ابن نعمان في جلائه ﴾

واما دعوى محمود الالوسي في تفسيره السالف ذكره ان في مذهب الامام ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه ان الشخص لا يستقبل القبر الشريف بل يستدبره ويستقبل القبلة وان بعض الحنفية قال يستقبل وقت السلام ويستقبل القبلة ويستدبر وقت الدعاء وان الصحيح المعول عليه انه يستقبل وقت السلام وعند الدعاء يستقبل القبلة ويجعل القبر المكرم عن اليمين او اليسار وان هـذا هو المشروع في زيارة سيد الخلق صلى الله عليه وسلم انتهت . واقرها ابنه نعمان في جلائه كما انه تمسك فيه برواية المبسوط التي علمت انها منقطعة عن مالك فهي دعوى ساقطة فاسدة لا تروج الا على مثلهما فان بعضها نوافيك فيه بأنه مردود في مذهب الامام الاعظم ولم يصح نقله عنه اصلاً وباقيها من مخترعات غيره الشاذة التي يتجاسر هو بزعمه انها هي المشروعة تشبهاً منه بابن تيمية وتلامذته . فقد قال محقق الحنفية الكمال ابن الهمام ان استقبال القبر الشريف افضل من استقبال القبلة

وان مانقل عن الامام ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه من ان استقبال القبلة افضل فهو نقل مردود غير صحيح · فقد روى الامام ابو حنيفة نفسه في مسنده عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه قال من السنة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر للقبلة اه قال ابن الهمام وهذا هو الصحيح من مذهب ابي حنيفة · وسبق ابن الهمام المذكور في النص على ذلك العلامة العز بن جماعة فانه نقل استحباب استقبال القبر الشريف عن الامام ابي حنيفة رضى الله تعالى عنه ورد على الكرماني ومن تبعه في انه يستقبل القبلة دون القبر المكرم فقال انه ليس بشيء فاعتمد على مانقلته اه و يؤيده ماقاله المجد اللغوي صاحب القاموس ونصه : روينا عن الامام ابن المبارك قال سمعت ابا حنيفة يقول قدم ابو ايوب السختياني وانا بالمدينة فقلت لانظرن ما يصنع فجعل ظهره مما يلي القبلة ووجهه مما يلي وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم و بكى غير متباك فقام مقام فقيه اه

قال العلامة ملاّ علي قارئ عقبه وفيه تنبيه على ان هذا هو مختار الامام بعد ما كان متردداً في مقام المرام · قال ولعل وجه القائلين من اصحابنا يعني الحنفية بالزيارة من قبل الرأس الكريم ما روى ان الناس قبل ادخال الحجرة الشريفة في المسجد كانوا يقفون على بابها و يسلمون بآدابها و يستقبلون الكعبة لتعظيم جنابها على ان الجمع بين الروايتين ممكن كما قال عز بن جماعة من ان مذهب الحنفية ان يقف الزائر للسلام عند رأس القبر المقدس بحيث يكون عن يساره ثم يدور الى ان يقف قبالة الوجه الشريف مستدبر القبلة اه وانت على علم من انه لاحاجة الى هذا بعد العلم بنص الامام نفسه بل في خلدي انه في مسنداته الثلاثة فمن يدعي ان له نصاً آخر فعليه البيان ودونه خرط القتاد · وقد يستدل لاستقبال القبر الشريف ايضاً بانا متفقون على انه صلى الله عليه وسلم حي في

قبره يعلم بزائره وهو صلى الله عليه وسلم لما كان في الدنيا لم يسع زائره الا استقباله واستدبار القبلة فكذا يكون الامر حين زيارته في قبره الشريف صلى الله عليه وسلم · واذا اتفقنا في المدرّس من العلماء بالمسجد الحرام المستقبل للقبلة على ان الطلبة يستقبلونه و يستدبرون الكعبة فما بالك به صلى الله عليه وسلم فهو اولى بذلك قطعاً · وقد تقدم لك كلام الامام مالك رضي الله تعالى عنه للخليفة المنصور · قال المطوعي والمنقول عن السلف انهم كانوا قبل ادخال الحجرة في المسجد يقفون في الروضة مستقبلين رأسه الشريف وصح انهم كانوا يقفون على باب البيت و يسلمون اي لتعذر استقبال الوجه الكريم حينئذ ثم لما دخلت حجر ازواجه صلى الله عليه وسلم ورضي الله تعالى عنهن في المسجد اتسع ما امام الوجه الشريف فوقفوا فيه مستقبلين له صلى الله عليه وسلم مستدبرين القبلة · واذا سن استدبار القبلة في حال الخطبة لاجل السامعين فلاجله صلى الله عليه وسلم اولى واحرى · وقال العلامة القاريء في شرحه لحديث مرور النبي صلى الله عليه وسلم بقبور بالمدينة المروي عند الترمذي بسند حسن ولفظه عن ابن عباس قال مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بقبور بالمدينة فاقبل عليهم بوجهه فقال السلام عليكم يا اهل القبور الى آخره ما نصه · وفيه دلالة على ان المستحب في حال السلام على الميت ان يكون وجهه لوجه الميت وان يستمر كذلك في الدعاء ايضاً وعليه عمل عامة المسلمين خلافاً لما قاله ابن حجر من ان السنة عندنا انه حالة الدعاء يستقبل القبلة كما علم من احاديث أخر في مطلق الدعاء اه وفيه ان كثيرا من مواضع الدعاء ما وقع استقباله عليه الصلاة والسلام للقبلة منها ما نحن فيه ومنها حالة الطواف والسعي ودخول المسجد وخروجه وحال الاكل والشرب وعيادة المريض وامثال ذلك فيتعين ان يقتصر الاستقبال وعدمه على المورد ان وجد

والا فخير المجالس ما استقبل به القبلة كما ورد به الخبر واما ما فعله بعض السلف بعد الزيارة النبوية من استقبال القبلة للادعية فهو امر زائد لا مسطور فيه للائمة اه بحروفه من شرح المشكاة وبه تعلم ايضاً بطلان ما مرّ عن محمود الالوسي فتأمل وانصف ولا تتبع المفتري المتعسف . وقال العلامة الزرقاني في شرح المواهب كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلاً له مستدبراً للقبلة ثم نقل عن مذهبي الامام ابي حنيفة والامام الشافعي والجمهور مثل ذلك وبان بما تقرر خطأ ابن تيمية في قوله في منسكه ان الوقوف عند القبر بدعة ولم يكن احد من الصحابة يقف عنده ويدعو لنفسه ولكن كانوا يستقبلون القبلة ويدعون في مسجده صلى الله عليه وسلم اه وسبق في الباب السالف ما يرد به عليه ايضاً ورد عليه العلامة الزرقاني في شرح المواهب بان نفيه المذكور من قصوره او مكابرته ففي الشفاء قال بعضهم رأيت انس بن مالك رضي الله تعالى عنه اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف اه

استحباب التوسل عند الحنابلة

واما مذهب الامام احمد ففيه اختلاف بين علماء مذهبه والراجح عند المحققين منهم استحباب استقبال القبر الشريف كبقية المذاهب وكذا القول في التوسل فان المرجح عند المحققين منهم استحبابه لصحة الاحاديث الدالة على ذلك فيكون المرجح عند الحنابلة موافقاً لما عليه اهل المذاهب الثلاثة وقد اطال الامام ابن السبكي في شفاء السقام في نقل نصوص اهل المذاهب الاربعة في ذلك وذكر سيدي الشيخ طاهر سنبل في رسالة له في ذلك ان ممن ذكر ذلك من علماء الحنابلة الامام ابو عبد الله السامري في المستوعب وقد رفعت فتوى لمفتي

الحنابلة بمكة المشرفة الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد في هذه المسئلة فاجاب بان الراجح عند الحنابلة استقبال القبر الشريف عند الدعاء واستحباب التوسل قال وذلك مذكور في كثير من كتب المذاهب المعتمدة · منها شرح مناسك المقنع للامام شمس الدين ابن مفلح صاحب الفروع ومنها شرح الاقناع لمحرر المذهب الشيخ منصور البهوتي · ومنها شرح غاية المنتهى · ومنها منسك الشيخ سليمان بن علي جد محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة وكثيرٌ من المؤلفين في المذهب ذكروا ذلك قال و بعض هؤلاء ذكروا قصه العتبي المشهورة وانشاد الاعرابي (ياخير من دفنت بالقاع اعظمه) الخ واما الحديث الذي فيه اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبيك الخ فهو حديث اخرجه الترمذي وصححه واخرجه النسائي والبيهقي ايضاً · وصححه قلت وسنذكر القصة وكذا الحديث قريباً ثم قال المفتي المذكور اذا تحقق ذلك علمنا ان المعتمد عند الحنابلة هو ما ذكره السائل اعني استحباب استقبال القبر عند الدعاء واستحباب التوسل والمنكر لذلك جاهل بمذهب الامام احمد رضي الله تعالى عنه اه قال السيد الدحلان في كتابه المتقدم عقب هذا واما ماذكره محمود الالوسي في تفسيره من ان بعضهم نقل عن الامام ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه انه منع التوسل فهو نقل غير صحيح اذ لم ينقله عن الامام احد من اهل مذهبه وهم ادرى به بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل ونقل المخالف غير معتبر فاياك ان تغتر به اه قلت وما في متونهم من ان قول الداعي المتوسل بحق الانبياء والاولياء وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه اي كراهة تحريم كما عند الامام محمد اه · قد اشار احد محققيهم العلامة ابن عابدين في حواشيه على الدر الى انه مردود حيث قال ناقلاً عن التتارخانية وجاء في الآثار ما يدل على الجواز اه · وقال قبل هذا مقتضي كلام ائمتنا المنع من ذلك الا فيما ورد عن النبي

صلى الله عليه وسلم على ما اختاره الفقيه يعني ابا الليث اهـ· وفي كتاب طوالع الانوار على شرح الدر المختار للعلامة السيد محمد عابد السندي وكره قوله اي الداعي في التوسل بحق رسلك وانبيائك واوليائك او بحق البيت الحرام لانه لا حق للخلق على الخالق قيل هذا اذا كان الحق صفة مشبهة كما هو الظاهر واما اذا اريد به المصدر اي بحقية رسلك الخ فلا كراهة حينئذ على انه قد يقال لا حق لهم وجوباً على الله سبحانه وتعالى لكن الله سبحانه وتعالى جعل لهم حقاً من فضله او يراد بالحق الحرمة والعظمة فيكون من باب الوسيلة وقد قال تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) وقد عد من آداب الدعاء التوسل الى الله تعالى بانبيائه والصالحين من عباده كما ذكره ابن الجزري في الحصن لكن قد يقال ان المنع في كلام الفقهاء ليس للتوسل بل لثبوت حق للمخلوق على الله تعالى وقد يجاب عنه بانه ثبت في حديث ابي امامة الباهلي عند الطبراني في الكبير وفي كتاب الدعاء له في ادعية الصباح والمساء اسألك بنور وجهك الذي اشرقت به السموات والارض وبكل حق هو لك وبحق السائلين عليك الخ وفي حديث معاذ عند البخاري حق العباد على الله ان لا يعذبهم اذا عبدوه ولم يشركوا به شيئاً اهـ باختصار · ونقل ابن عابدين عن العلامة المناوي في شرح الجامع ان الامام السبكي قال يحسن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه لم ينكره احد من السلف ولا من الخلف الا ابن تيمية فابتدع مالم يقله عالم قبله اهـ· ودعوى ابن عابدين ان ما صح من الاحاديث فيما ذكر خبر احاد فلا يعارض منع ما يوهم ما لا يجوز من الالفاظ لان دليله قطعي لا يلتفت اليها ولا يعول عليها لانها شبهة فاسدة مبطلة لكثير من الشرع اذ السنة الثابتة كالكتاب في اتباعها اجماعاً سواء تواترت ام لا كما ذكره الاصوليون ونص عليه العلامتان الشهاب والقاري في شرح الشفاء

والامام النووي في شرح مسلم وغيرهم وسنوضحه وللامام احمد رسالة في الرد على من يزعم الاستغناء بظاهر القرآن عن تفسير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أورد فيها من الدلائل ما يضيق عنه هذا الموضع قال تعالى (وما اتاكم الرسول فخذوه) وقال تعالى (وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم) وقال (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحيٌ يوحى) فالاستناد الى تلك الدعوى في اطلاق الحنفية المنع باطل على انا لو فرضنا ان القائل بعدم الجواز هو الامام نفسه فهو قد ثبت عنه رضي الله تعالى عنه انه قال كغيره من الائمة رضوان الله تعالى عليهم اذا صح الحديث فهو مذهبي بل المشهور من مذهبه كما مر الاخذ بالمرسل والضعيف اعتناء بشدة المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف تمكن المخالفة للاحاديث الصحيحة المستفيضة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك حتى تترك و يؤخذ بقول غيره عليه الصلاة والسلام مع اجماع السلف والخلف على الجواز كما عرفت وحينئذ يجب اصلاح ما في متونهم فليتأمل وقريباً ان شاء الله ترى زيادة على مامر من ادلة الجواز

وعبارة الشيخ داود في كتابه (صلح الاخوان) صورتها : واما ما ذكره الحنفية من انه يكره ان يقول في الدعاء بحق فلان وبحق محمد لانه لاحق لاحد على الله ذكره البزازي في فتاويه . فجوابه ان الكراهة مخصوصة بمن يعتقد ان لاحد على الله حقاً كما هو ظاهر التعليل وهو قوله لانه لا حق لاحد على الله ففهم منه ان من لم يعتقد ذلك لا يكره في حقه مع ان الادلة الواردة فيما تقدم دالة للمجوز . وقال الامام ابوحنيفة اذا صح الحديث فهو مذهبي . قال البزازي وفي بعض نسخ لاينبغي ان يقول بحق فلان بلا ذكر لفظ الكراهة و يقول مكان الحق بحرمة فالكراهة على بعض النسخ خاصة بلفظ الحق من غير تأويل . وقال

ايضاً وعن الامام الثاني انه لا بأس بان يقول اسالك بمقعد العز من عرشك كما جاء في الاحاديث . وبه قال الفقيه ابو الليث له من الفتاوي البزازية انتهت وبان لك بما تقرر عن محققي الحنابلة ان دعوى نعمان الالوسي بن محمود المذكور في جلائه ان اصح القولين في مذهب الحنابلة ان التوسل مكروه كراهة تحريم انتهت افتراء منه وزور على مذهب الحنابلة قصد بها ترويج عقيدته لسوء طويته كما انه قد بان ايضاً مما ذكرنا ان تمسكه بما في متون الحنفية ورواية مبسوط المالكية فاسدة يعلم منه جهله بمذهبه او انه يخفي الحق لتعصبه ومع كل فلا عبرة برأي من ذهب الى منع التوسل ايا كان فانظر الى ما قال ولا تنظر الى من قال فان الادلة القطعية وغيرها قد قامت على جوازه كما سنبسطه ان شاء الله تعالى في هذا الباب والمرعي انما هو الدليل لا القائل

ولقد حدثني الثقة بانه سمع من بعض علماء السادة الحنفية بالازهر ان القول بمنع التوسل المذكور في كتبهم ومتونهم مدسوس فيها وانه لا صحة له عن الامام ابي حنيفة ولا عن اصحابه . قلت وقد قال الامام السنوسي رضي الله تعالى عنه في شرح عقيدته الكبرى ما نصه : ولقد ابتلينا باقوال باطلة نسبت لائمة السنة والله اعلم هل صدرت منهم ام لا وعلى تقدير صدورها فعلى اي وجه صدرت والله تعالى حسب من نقل مثل هذه الاقوال الفاسدة على وجه يتراخى في بيان فسادها او دفعها عما لا يليق به ان امكنه ذلك اه . هذا وقد قال بعض المفسرين في قوله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) ان من جملة تلك الكلمات توسل آدم عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم حين قال يارب اسالك بحرمة محمد الا ما غفرت لي اه ومثله انما يقال بتوقيف . وفي الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور للحافظ السيوطي . اخرج ابن المنذر عن محمد بن علي بن الحسين

ابن علي قال لما اصاب آدم الخطيئة عظم كربه واشتد ندمه فجاءه جبريل فقال يا آدم هل اعلمك دعاء ومن جملته اللهم اني اسالك بجاه محمد عبدك وكرامته عليك ان تغفر لي خطيئتي الحديث · واخرج الديلمي في مسند الفردوس عن علي قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) فقال قل اللهم اني اسالك بحق محمد سبحانك لا اله الا انت الحديث · واخرج ابن النجار عن ابن عباس قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه قال سال بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الا تبت علي فتاب عليه اه ورحم الله تعالى ابن جابر حيث قال

به قد اجاب الله آدم اذ دعى ونجى في بطن السفينة نوح
وما ضرت النار الخليل لنوره ومن اجله نال الفداء ذبيح

وفي كتاب (مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام) للشيخ ابي عبد الله ابن النعمان المالكي مايشفي الغليل من ذلك سهل الله تعالى لنا به وانشد القسطلاني في المواهب قول الشاعر

اليك والاّ لا تشد الركائب وعنك والاّ فالمحدث كاذب
وفيك والاّ فالغرام مضيع ومنك والاّ فالمؤمل خائب

ومن العجب ان محمود الالوسي انشد هذين البيتين شاهداً على عدم الطلب من النبي صلى الله عليه وسلم وندائه والتوسل به مع انهما مقولان في حقه صلى الله عليه وسلم فعكس مرام الشاعر كما نبه على ذلك الشيخ داود في رسالته التي رد بها على الالوسي المذكور

مطلب بقية ادلة جواز التوسل

هـذا وصح ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه استسقى في زمن خلافته بسيدنا العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم لما اشتد القحط عام الرمادة فسقوا وذلك مذكور في صحيح البخاري رحمه الله تعالى من رواية انس بن مالك رضي الله تعالى عنه وذلك من التوسل بلا شك · وفي مواهب الحافظ القسطلاني ان سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه لما استسقى بسيدنا العباس رضي الله تعالى عنه قال يا ايها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمه العباس واتخذوه وسيلة الى الله تعالى ففيه التصريح بالتوسل · وبهذا يبطل قول اولئك المبتدعة المانعين للتوسل مطلقاً سواء كان بالاحياء او بالاموات ويبطل ايضاً قول من منع ذلك بغير النبي صلى الله عليه وسلم بل المستفاد من هذه القصة كما قاله الحافظ القسطلاني وغيره استحباب الاستشفاع باهل الخير والصلاح واهل بيت النبوة ونص اللفظ الواقع من عمر رضي الله تعالى عنه حين استسقى بالعباس رضي الله تعالى عنه اللهم انا كنا اذا قحطنا نتوسل اليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا صلى الله عليه وسلم فاسقنا وصدر الحديث كما في البخاري عن انس رضي الله تعالى عنه قال ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب وقال اللهم انا الخ قال فيسقون · وفي رواية اخرى عند البخاري ايضاً عن ابن عباس ان عمر قال ونستشفع اليك بشيبته اي العباس وفي ذلك يقول عباس بن عتبة ابن ابي لهب

بعمي سقى الله الحجاز واهله ... عشية يستسقي بشيبة عمر
توجه بالعباس في الجدب راغباً ... اليه فما ان رام حتى اتى المطر

ومنا رسول الله فينا تراثه (١)   فهل احد هذى المفاخر(٢) مفتخرا

وهذه الرواية دليل قاطع على صحة التوسل والاستشفاع بالذوات الفاضلة اذ لا تقبل الشيبة تأويل الملحدين بالدعاء كما ستعلمه عنهم · فدعوى نعمان الالوسي في جلائه انها ضعيفة كذب منه وزور · وقد اتفق اني كنت احدث بعض طلبة العلم الشريف بادلة جواز التوسل فلما ذكرت لهم قصة عمر رضي الله تعالى عنه هذه · قال لي احدهم حيث ان سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه صحابي فيمكن ان يقال انه ما حصل منه مذهب له وقد تقرر ان فعل الصحابي ليس بحجة (٣) فلا ينتج هذا الدليل المدعى · فقلت له ان ما تقوله فضلاً عن كونه لم تتفق عليه الائمة كما بين في الاصول لا يجري في حق سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه فان فعله حجة بالنص (٤) عن النبي صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام قد قال ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه رواه الامام احمد والترمذي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ورواه الامام احمد ايضاً وابو داود والحاكم في المستدرك عن ابي ذر رضي الله تعالى عنه ورواه ابو يعلى والحاكم في المستدرك ايضاً عن ابي

---

(١) قوله تراثه لعل المراد به هنا ما ورثوه عنه من العلوم والمعارف اذ الانبياء لا تورث اه زرقاني على المواهب

(٢) وفي نسخة (فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر) اه

(٣) قوله ان فعل الصحابي ليس بحجة اي لقول امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه كيف اخذ بقول من عاصرني وحاججني لحجته اه من حاشية البجيرمي على شرح الخطيب

(٤) قوله فان فعله حجة بالنص الخ بهذا يسقط زعم صاحب جريدة المنار ان هذه واقعة حال يعروها الاحتمال فيكسوها ثوب الاجمال فيسقطبها الاستدلال كما انه يسقط ايضاً بلفظ البخاري السابق الذي فيه كان المفيد تكرر ذلك من سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه فما اتى به صاحب الجريدة المذكورة في هذا المبحث كله سفسطة فلا يلتفت اليه ولا يعول عليه بعد ما ذكرناه (اه) لمؤلفه

هريرة رضي الله تعالى عنه ورواه الطبراني في الكبير عن بلال ومعاوية رضي الله تعالى عنهما . وروى الطبراني في الكبير وابن عدي في الكامل عن الفضل ابن العباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر معي وانا مع عمر والحق بعدي مع عمر (١) حيث كان . وهذا مثل ما صح في حق علي رضي الله تعالى عنه من قوله صلى الله عليه وسلم في حقه وادر الحق معه حيث دار وهو حديث صحيح رواه كثير من اصحاب السنن فكل من عمر وعلي رضي الله تعالى عنهما يكون الحق معه حيث ما كان . وهذان الحديثان من جملة الادلة التي استدل بها اهل السنة على صحة خلافة الخلفاء الاربعة لان علياً رضي الله تعالى عنه كان مع الخلفاء الثلاثة قبله لم ينازعهم في الخلافة فلما جاءت الخلافة له ونازعه غيره ممن لا يستحق التقدم عليه قاتله

ومن الادلة على ان توسل عمر بالعباس رضي الله تعالى عنهما حجة على جواز التوسل قوله صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر رواه الامام احمد والترمذي والحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله تعالى عنه ورواه الطبراني في الكبير عن عصمة بن مالك رضي الله تعالى عنه . وروى الطبراني في الكبير ايضاً عن ابي الدرداء رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر فانهما حبل الله الممدود من تمسك به فقد تمسك (بالعروة الوثقى لاانفصام لها) وذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير واخرجه ايضاً الترمذي واحمد وغيرهم كما صرح

---

(١) قوله والحق بعدي مع عمر الخ روى ابو نعيم ايضاً من حديث غروب الكندي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه ستحدث بعدي اشياء فاحبها الي ان تلزموا ما احدث عمر كذا في السمي المشكور عن شرح المنية لابن امير حاج اه لمؤلفه

به العلامة الشيخ عبد الحي اللكنوي في رسالته (اقامة الحجة) ومن هنا قال كل من علي وعمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنهما الا ان ما سنه ابو بكر وعمر فهو دين نأخذ به وندعو اليه كما في كشف الغمة للشعراني . على ان سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه استسقى بالعباس رضي الله تعالى عنه مرارًا كما افاده حديث البخاري بمحضر من الصحابة والتابعين رضي الله تعالى عنهم ولم ينكر ذلك عليه احد منهم قط ولا ممن بلغه ولم يكن حاضرًا اذ لو حصل انقل وتواتر فصار اجماعًا سكوتيًا فتقوم به الحجة على جواز التوسل قطعيًا . وانما استسقى عمر بالعباس رضي الله تعالى عنهما ولم يستسق بالنبي صلى الله عليه وسلم ليبين للناس جوازَ الاستسقاء بغير النبي صلى الله عليه وسلم وان ذلك لا حرج فيه واما الاستسقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم فكان معلومًا ومحفوظًا عندهم فلربما ان بعض الناس يتوهم انه لا يجوز الاستسقاء بغير النبي صلى الله عليه وسلم فبين لهم عمر باستسقائه بالعباس الجواز ولو استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم لربما يفهم منه بعض الناس انه لا يجوز الاستسقاء بغيره صلى الله عليه وسلم . وليس لقائل ان يقول انما استسقى عمر بالعباس رضي الله تعالى عنهما لانه حي والنبي صلى الله عليه وسلم قد مات وان الاستسقاء بغير الحي لا يجوز لانه لو جاز لما عدلوا عن الاستسقاء بالنبي صلى الله عليه وسلم اليه كما يزعمه الوهابي الجهول . لانا نقول ان هذا الوهم باطل مردود بادلة كثيرة .

ادلة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته

منها توسل الصحابة رضى الله تعالى عنهم بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كما في القصه الآتية التي رواها عثمان بن حنيف رضي الله تعالى عنه في الحاجة التي كانت للرجل عند عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وكما في حديث

بلال بن الحارث الصحابي رضي الله تعالى عنه الآتي ايضاً وكما في توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل وجوده الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وقد تقدم فكيف يتوهم ان عمر رضي الله تعالى عنه لا يعتقد صحته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وهو قد روي التوسل به قبل وجوده مع انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره كما يوافيك بسطه ان شاء الله تعالى · فتلخص من هذا انه يصح التوسل به صلى الله عليه وسلم قبل وجوده وفي حياته و بعد وفاته وانه يصح ايضاً التوسل بغيره من الاخيار كما فعله عمر رضي الله تعالى عنه حين استسقى بالعباس رضي الله تعالى عنهما وذلك من انواع التوسل كما تقدم · وانما خص عمر العباس رضي الله تعالى عنهما من بين سائر الصحابة رضي الله تعالى عنهم لاظهار غاية التواضع لنفسه والرفعة لاهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان التوسل به انجح في المطلوب وكان فيه ايضاً توسلٌ بالنبي صلى الله عليه وسلم وزيادة كما يعطيه ما في بعض روايات الحديث من قوله احفظ اللهم نبيك في عمه العباس وايضاً ليبين انه يجوز التوسل بالمفضول مع وجود الفاضل فان عليا رضي الله تعالى عنه كان موجوداً وهو افضل من العباس رضي الله تعالى عنه · وقال بعض العارفين وفي توسل عمر بالعباس رضي الله تعالى عنهما دون النبي صلى الله عليه وسلم نكتة اخرى ايضاً زيادة على ما تقدم وهي شفقة عمر رضي الله تعالى عنه على ضعفاء المؤمنين فانه لو استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم لربما تأخرت الاجابة لانها كيفية الامور معلقة بارادة الله تعالى ومشيئته فلو تأخرت الاجابة ربما تقع وسوسة فاضطراب لمن كان ضعيف الايمان بسبب تأخر الاجابة بخلاف ما اذا كان التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم فانها لو تأخرت الاجابة لا تحصل تلك الوسوسة ولا ذلك الاضطراب اه وذكر كثير من علماء

المذاهب الاربعة في كتب المناسك عند ذكرهم زيارة النبي صلى الله عليه وسلم انه يسن للزائر ان يستقبل القبر الشريف و يتوسل به الى الله تعالى في غفران ذنوبه وقضاء حاجاته و يستشفع به صلى الله عليه وسلم . قالوا ومن احسن ما يقول ما جاء عن العتبي التابعي الجليل وذكره المؤرخون وهو ايضاً مروي عن سفيان بن عيينه وكل من العتبي وسفيان من مشائخ الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه . قال العتبي كنت جالساً عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول وفي رواية ياخير الرسل ان الله انزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً)وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً بك الى ربي وفي رواية واني جئتك مستغفراً ربك عز وجل من ذنوبي ثم بكى وانشأ يقول

يا خير من دفنت بالقاع اعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والاكم

نفسي الفداء لقبر انت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم

قال العتبي ثم استغفر الاعرابي وانصرف فغلبتني عيناي فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا عتبي الحق الاعرابي فبشره بان الله غفر له بشفاعتي فخرجت خلفه فلم اجده اه وذكر هذه القصة ايضاً ابن النجار وابن عساكر وابن الجوزي في مثير الغرام الساكن عن محمد بن حرب الهلالي كما في المواهب . وليس محل الاستدلال الرؤيا فانها لا تثبت بها الاحكام كما هو معروف لاحتمال حصول الاشتباه على الرائي كما يأتي بيان ذلك وانما محل الاستدلال كون العلماء استحسنوا الاتيان بما ذكر ونصوا على استحباب الاتيان به للزائر في مناسكهم لوقوعه في خير القرون من غير نكير ففي هذه الحكاية نداء النبي صلى الله عليه وسلم

وطلب الشفاعة منه وهو في قبره الشريف فلو كان نداء الاموات والطلب منهم محذوراً لم يستحسنها العلماء المتقدمون ولا استحسن احد نقلها في كتابه وجعلها من آداب الزائر . وليس في قولهم وفي رواية كذا وفي رواية كذا منافاة لاحتمال ان الراوي حكى ذلك بالمعنى فمرة عبر بقوله يا خير الرسل ومرة عبر بقوله يا رسول الله وعلى ذلك يحمل امثال هذا ولم يفهم ابن قدامة الحنبلي هذا الذي قررناه فقال في صارمه ما قال مقلداً لشيخه ابن تيمية وقد رد عليه كلامه فيه من اهل العصر الشيخ داود والشيخ عبد الحي وغيرهما ايضاً هذا . وروى بعض الحفاظ عن ابي سعيد السمعاني انه روى عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه انهم بعد دفنه صلى الله عليه وسلم بثلاثة ايام جاءهم اعرابي فرمى بنفسه على القبر الشريف على صاحبه افضل الصلاة والسلام وحثى ترابه على رأسه وقال يارسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ما وعينا عنك وكان فيما انزل الله عليك قوله تعالى (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيماً) وقد ظلمت نفسي وجئتك مستغفراً الى ربي فنودي من القبر الشريف انه قد غفر لك . وذلك بمشهد من الصحابة الكرام ولم ينكره احد منهم . وقد ذكر هذه القصة السيد السمهودي في الوفاء وخلاصته والقسطلاني في المواهب والعلامة المحقق في الجوهر ثم قالوا : وجاء مثل ذلك عن علي رضي الله تعالى عنه من طريق اخرى فهي تؤيد رواية السمعاني كما يؤيدها حديث (حياتي خير لكم تحدثون وأحدث لكم فاذا أنا مت كانت وفاتي خير لكم تعرض علي اعمالكم ما رأيت من خير حمدت الله تعالى وما رأيت من شر استغفرت لكم) . ويؤيد ذلك ايضاً ما ذكره العلماء في آداب الزيارة من انه يستحب ان يجدد الزائر التوبة في ذلك الموقف الشريف و يسأل الله تعالى ان

يجعلها توبة نصوحا ويستشفع به صلى الله عليه وسلم الى ربه عز وجل في قبولها
ويكثر الاستغفار والتضرع بعد تلاوة قوله تعالى (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم
جاؤك) الآية ويقول نحن وفدك يارسول الله وزوارك جئناك لقضاء حقك
والتبرك بزيارتك والاستشفاع بك مما اثقل ظهورنا واظلم قلوبنا فليس لنا
يارسول الله شفيع غيرك نؤمله ولا رجاء غير بابك نصله فاستغفر لنا واشفع لنا
عند ربك واسأله ان يمن علينا بسائر طلباتنا ويحشرنا في زمرة عباده الصالحين
والعلماء العاملين • وجاء عن الاصمعي انه راي اعرابيا وقف علي القبر الشريف
وقال اللهم ان هذا حبيبك وانا عبدك والشيطان عدوك فان غفرت لي سر
حبيبك وفاز عبدك وغضب عدوك وان لم تغفرلي غضب حبيبك ورضي عدوك
وهلك عبدك وانت يارب اكرم من ان تغضب حبيبك وترضي عدوك وتهلك
عبدك اللهم ان العرب الكرام اذا مات فيهم سيدا عتقوا على قبره وان هذا
سيد العالمين اعتقني علي قبره ياارحم الراحمين • قال الاصمعي فقلت له يااخا
العرب ان الله قد غفر لك واعتقك بحسن هذا السؤال اه وذكر العلامة
السيد طاهر بن محمد بن هاشم باعلوي في كتابه المسمي مجمع الاحباب في ترجمة
الامام ابي عيسي الترمذي صاحب السنن انه راى في المنام رب العزة سبحانه وتعالى
فساله عما يحفظ عليه الايمان حتى يتوفاه عليه قال فقال لي قل بعد صلاة ركعتي
الفجر قبل صلاة فرض الصبح الهي بحرمة الحسن واخيه وجده وبنيه وامه
وابيه نجني من الغم الذي انا فيه ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام اسالك ان
تحيي قلبي بنور معرفتك ياالله ياالله يا ارحم الراحمين فكان الامام الترمذي
دائما بعد صلاة سنة الصبح يامر اصحابه به ويحثهم على فعله وعلى المواظبة عليه
فلو كان التوسل ممنوعا كما زعمه المنكرون لما فعله هذا الامام ولا امر بفعله

والمواظبة عليه وهو امام حجة حافظ ثقة يقتدى به قال العلامة المناوي في شرح الجامع الصغير بل التوسل امر حسن لم ينكره احد قط من السلف ولا من الخلف حتى جاء احمد بن تيمية اي المبتدع للاشياء المضللة للناس كما مر فانكره وعدل عن الصراط المستقيم وابتدع مالم يقله عالم قبله وصار به بين اهل الاسلام مثلة اي ثم تبعه هؤلاء الملحدون المنكرون عاملهم الله سبحانه وتعالى بما يستحقونه

ادلة التوسل واصرحها

ومن الاحاديث الصحيحة التي جاء فيها التصريح بالتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ما رواه الترمذي وصححه وقوله انه غريب اى باعتبار افراد طرقه كما مر نظيره ورواه النسائي والبيهقي والطبراني كلهم باسناد صحيح لامطعن فيه اصلا واقره الحافظ الذهبي عن عثمان بن حنيف وهو صحابي مشهور (١) رضي الله تعالى عنه ان رجلا ضرير البصر اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله لى ان يعافيني فقال ان شئت دعوت وان شئت صبرت وهو خير قال فادعه فامره ان يتوضأ فيحسن وضوءه و يصلي ركعتين ثم يدعو بهذا الدعاء اللهم اني اسالك واتوجه (٢) اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي

(١) قوله مشهور روى عنه الامام احمد واصحاب السنن وهو من الاشراف ولي سواد العراق لعمر والبصرة لعلي وعاش الى زمن معاوية رضي الله تعالى عنهم ولم يذكروا اسم الاعمي المذكور في الحديث (اه) شهاب وقاري قلت قال النووي في الاذكار ان الصحابة رضي الله تعالى عنهم كلهم عدول لاتضر الجهالة باعيانهم فقد كانت الرواية صحيحة متصلة وفيها صحابي مجهول لايضر (اه) مؤلفه

(٢) قوله واتوجه اليك بنبيك الخ قال الطيبي الباء في بنبيك للتعدية وفي اتوجه بك للاستعانة اه ولعله فرق بينهما مع ان الفعل واحد لان المتوجه به في الاول هو النبي صلى الله عليه وسلم فيتعين معنى التعدية وفي الثاني هو الله تعالى وهو المستعان كما يدل عليه حصر

وفي رواية اني توجهت بك الى ربي في حاجتي لتقضى لي اللهم فشفعه فيَّ فعاد وقد ابصر وفي رواية قال ابن حنيف فو الله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل (١) علينا الرجل كان لم يكن به ضر قط وجاء في بعض طرقه كما ذكره ابن تيمية في الفتاوي وابو عبد الله بن النعمان في مصباح الظلام ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للرجل الاعمى المذكور وان كان لك حاجة فمثل ذلك اي فاعمل مثل ما علمتك ففي هذا الحديث التوسل والنداء الذي ينكره المبتدعون ايضاً كما سيأتي ٠

الادلة التي فيها التصريح بالتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم

وقد خرَّج هذا الحديث ايضاً البخاري في تاريخه وابن ماجه في الصلاة والحاكم في المستدرك باسناد صحيح على شرط الشيخين وذكره القاضي عياض في الشفاء وابن الجزري في الحصن الحصين والخطيب التبريزي في المشكاة والقسطلاني في المواهب والسمهودي في خلاصة الوفاء والعلامة المحقق في الجوهر والنووي في الاذكار والجلال السيوطي في الجامع الكبير والصغير وغيرهم وهذا الحديث اصح حديث في الباب فهو حجة قاصمة لظهر المانعين دامغة لدعواهم اذ هو ظاهر في التوسل بذات سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وتأويل محمود الالوسي وابنه نعمان وامثالهما في هذا الحديث تبعاً لابن تيمية بحذف

اياك نستعين فلا يجوز استعمال الاستعانة في غيره حقيقة وان كان قد يستعمل مجازا قاله ملا قاري في شرح المشكاة والطيبي بكسر الطاء المهملة (اه) لمؤلفه

(١) قوله حتى دخل علينا الرجل هذا يفيد ان الرجل دعى في غيبة النبي صلى الله عليه وسلم لا في حضوره كما زعمه الالوسي وابنه نعمان وغيرهما فقد روى في الحديث مضافاً وقالوا اتوجه اليك بدعاء نبيك الخ و يبطله ايضاً قوله في الحديث فامره ان يتوضاء و يصلي ثم يدعو الخ فانه صريح في ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يدع له كما ذكره المؤلف (اه)

مضاف وغيره مما اطال به نعمان المذكور في جلائه المتقدم ذكره في غاية
من البعد والخروج عن طريق الانصاف لقيام الدليل الآتي قريباً على
عدم التأويل فيه اصلاً بما زعموه تاييدا لمتقدم الفاسد وترويجاً على الاغبياء
لمذهبهم الكاسد فما ذلك منهم الا مجرد عناد ومكابرة في الحق الواضح البين
وغفلة عن الادلة وعن قوله في الحديث حتى دخل علينا الرجل الى غير ذلك مما
بينه الشيخ داود في رسالته مخصوصة بالرد على محمود الالوسي في هذا البحث وما
فيها خطاء وعدم تدقيقه في النقل وكذا في كتابه (صلح الاخوان) فانظرهما ان
شئت نسال الله تعالى السلامة من ذلك وامثاله ومن المقرر المعلوم بين الاكابر
والاصاغر من اهل العلوم ان حمل اللفظ على احتماله البعيد مجاوز وشرطه القرينة
المانعة من حمله على احتماله القريب الظاهر منه ومع عدمها لا يجوز حمل اللفظ
عليه لما فيه من اثبات المشروط بدون شرطه فيتعين البقاء مع الظواهر الا ان
يدل دليل على امتناعه فافهم ولذلك قال الامام النووي في باب الاستسقاء من
كتاب الاذكار و يستحب اذا كان فيهم رجل مشهور بالصلاح ان يستسقوا به
فيقولوا اللهم انا نستسقي ونتشفع اليك بعبدك فلان اه وقال الشيخ داود في صلح
الاخوان والخلاف بين المانعين للتوسل بالذات والمجوزين له انما هو في اطلاق
اللفظ وقد وقع في الحديث المذكور وفي قول عمر وانا نتوسل اليك بعم نبيك
وظاهره ان التوسل بالذات وان قالوا بالدعاء . قلنا ونحن نجوز ان يكون بالدعاء
ايضاً لكن الوارد انما هو بالذات والمانع يؤول بالدعاء كيف وقد وقع التوسل
عام الفتق بنفس القبر النبوي الشريف من الصحابة بدون نكير كما ياتي وثبتت
الرواية بان عمر قال ونتوسل اليك بشيبته وهي ليست ممن يدعو وذكر اهل
السير ايضاً ان ابا طالب استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو رضيع ودل على

ذلك حديث البخاري في انشاد علي رضي الله تعالى عنه قول الشاعر (وابيض يستسقى الغمام بوجهه) الخ وسنذكره والوجه هو الذات كما في تاج العروس وغيره فلولا ان الصحابة كان توسلهم بذاته صلى الله عليه وسلم لم يخطر ببال علي ذلك الشعر وقوله صلى الله عليه وسلم في آخر حديث الاعمى السابق وان كان لك حاجة فمثل ذلك يدل على التشريع والتعليم لذلك الاعمى وغيره في حياته صلى الله عليه وسلم و بعد مماته بناء على ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولذا فهم منه المحدثون العموم فترجموا له بباب من له الى الله حاجة او الى احد من الناس فليفعل كذا كما ذكره صاحب الحصن اه وزعم ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم ان الاعمى صوّر صورة النبي صلى الله عليه وسلم في قلبه وخاطبها فناداها كما يخاطب الانسان من يتصوره ممن يحبه او يبغضه وان لم يكن حاضرًا الى آخر ما اطال به مما نقله من تبعه كنعمان الالوسي في جلائه وابيه في تفسيره مردود بان نداء الذات اقرب من نداء الصورة اذ كيف يستغاث بالصورة و يمتنع بالذات مع ان الصورة وهمية خيالية والذات محققة على ان نداء الصورة والطلب منها اذا جاز وسلم كان اقوى حجة للمجوزين لانه ابلغ في التاثير فافهم . وانما علم النبي صلى الله عليه وسلم الرجل المذكور ذلك الدعاء ولم يدع له لانه اراد ان يحصل منه التوجه و بذل الافتقار والانكسار والاضطرار مستغيثاً متوسلا به صلى الله عليه وسلم ليحصل له كمال مقصوده وارشادا للامة منه صلى الله عليه وسلم وتواضعاً وتادباً مع الله تعالى كما قاله العلامة المحقق في الجوهر والعلامة الشهاب في النسيم وقيل انما امره صلى الله عليه وسلم ان يدعو هو مع انه عليه الصلاة والسلام اسند الدعاء الى نفسه في دعوة وكذا طلب الرجل ان يدعو صلى الله عليه وسلم كانه عليه الصلاة والسلام لم يرض منه اختياره للدعاء

لما قال له الصبر خير لك مشيراً الى قوله تعالى (وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) وقوله في الحديث القدسي اذا ابتليت عبدي بفقد حبيبتيه ثم صبر عوضته منها الجنة ذكره الطيبي اي يجبر خاطره بامره بالوضوء وان يدعو بنفسه متوسلاً به بهذا الدعاء هذا وليس لمنكر التوسل والعياذ بالله تعالى ان يقول ان هذا انما كان في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وتساوي حالتي حياته ووفاته صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن يحتاج الى نص مقلداً لابن تيمية واتباعه الذين خفي عليهم النص او انكروه على عادتهم القبيحة لان ذلك القول من المنكر المذكور ساقط غير مقبول لوجود النصوص الصحيحة الصريحة في رد قوله المزبور فان هذا الدعاء قد استعمله الصحابة رضي الله تعالى عنهم والتابعون ايضاً بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لقضاء حوائجهم . فقد روى الطبراني والبيهقي والترمذي بسند حسن صحيح عن عثمان بن حنيف ايضاً ان رجلاً كان يختلف الى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه زمن خلافته في حاجة فكان لا يلتفت اليه ولا ينظر في حاجته فشكى ذلك لعثمان بن حنيف الراوي للحديث المذكور فقال له ائت الميضاة اي محل الوضوء فتوضأ ثم ائت المسجد فصل ركعتين ثم قل اللهم اني اسألك واتوجه اليك بنبينا محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك في حاجتي لتقضي وتذكر حاجتك فانطلق الرجل فصنع ذلك ثم اتى باب عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فجاءه البواب واخذ بيده فادخله على عثمان رضي الله تعالى عنه فاجلسه معه على الطنفسة وقال له اذكر حاجتك فذكرها فقضاها له ثم قال له ما ذكرت حاجتك حتى الساعة وما كان لك من حاجة فاذكرها ثم خرج ذلك الرجل من عنده فلقي ابن حنيف فقال له جزاك الله تعالى خيراً ما كان ينظر في حاجتي حتى كلمته لي فقال ابن حنيف والله ما كلمته ولكني شهدت رسول الله

صلى الله عليه وسلم واتاه ضرير فشكى اليه ذهاب بصره الى آخر الحديث المتقدم ٠ فهذا توسل ونداء بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ٠ وبهذا الحديث استدل الامام الحافظ ابن الجزري فقال في كتابه المسمى بالحصن الحصين ان من آداب الدعاء ان يتوسل الداعي الى الله تعالى بأنبيائه والصالحين من عباده اه واقره على ذلك غير واحد كالعلامة القاري في شرحه عليه وهو عندي في مجلد ٠ وقال العلامة الخفاجي في النسيم بعد ان شرح الحديث المذكور ما لفظه وكان ابن حنيف وبنوه يعلمونه الناس وقد حكي فيه حكايات فيها اجابة دعاء من دعى به من غير تأخير وهو حديث مسند صحيح وقد اخرجه البرهان الحلبي من طرق متعددة فلم يبق فيه شبهة فاحفظه اه يريد بذلك الرد على من قال ان سند الحديث المذكور فيه مقال على انه لو فرض ان في سنده مقالاً يكون عاضداً للحديث الاول وان كان صحيحاً فيكون مؤيداً له وقد علمت انه صحيح كما نبه عليه الحافظ السبكي والعلامة المحقق والسيد السمهودي والحافظ القسطلاني وغيرهم ايضاً والله تعالى الموفق ٠ وذكر العلامة السيد السمهودي في خلاصة الوفا من ان الادلة على صحة التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته ما رواه الدارمي في صحيحه عن ابي الجوزاء وهو تابعي مشهور بصدق الحديث قال قحط اهل المدينة الشريفة قحطاً شديداً فشكوا الى عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت انظروا الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة الى السماء حتى لا يكون بين قبره وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا مطراً كثيراً حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم اي انتفخت خواصرها بسبب الرعي فسمي عام الفتق وقد ترجم الحافظ ابن الجوزي في كتابه صفوة الصفوة لهذا الاثر بقوله (الباب التاسع والثلاثون في الاستسقاء بقبره صلى الله عليه وسلم) اه ولم تكن

ام المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها تفعل ذلك من قبل نفسها اذ ليس للرأي فيه مجال فلا بد انها سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمنا عدم السماع فنقول اقرار من حضرها من الصحابة والتابعين واستفاضة ذلك بينهم و بعدهم حجة بلا شك فتبصر . قال العلامة زين الدين المراغي وفتح الكوة عند الجدب سنة اهل المدينة يفتحون كوة في اسفل قبة الحجرة المطهرة وان كان السقف حائلاً بين القبر الشريف والسماء . وقال السيد السمهودي بعد كلام المراغي هذا وسنتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف و يجتمعون هناك وليس القصد الا التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والاستشفاع به الى ربه لرفعة قدره عند الله تعالى - وقال ايضاً ان التوسل والتشفع به صلى الله عليه وسلم و بجاهه و بركته من سنن المرسلين وسيرة السلف الصالحين اه والملا علي قاري في شرح مشكاة المصابيح بعد شرح حديث ابي الجوزاء السابق ما صورته . وقد قيل في سبب كشف قبر النبي صلى الله عليه وسلم ان السماء لما رأت قبر النبي صلى الله عليه وسلم سال الوادي من بكائها قال تعالى (فما بكت عليهم السماء والارض) حكاية عن حال الكفار فيكون امرها على خلاف ذلك بالنسبة الى الابرار وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان يستشفع به عند الجدب فتمطر السماء فامرت عائشة رضي الله تعالى عنها بكشف قبره مبالغة في الاستشفاع به فلا يبقى بينه وبين السماء حجاب اقول وكانه كناية عن عرض الغرض المطلوب بتوجهه الى السماء وهي محل رزق الضعفاء كما قال تعالى (وفي السماء رزقكم) اه وفي كتاب الاذكار للامام النووي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر ان يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثاً اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ومحمد صلى الله عليه وسلم اجرني من النار . قلت وقد رواه الحاكم وابن السني كما في شرح الاوراد البكرية المسمى

بالنفح الالهية للامام ابن عبد البر الوفائي الشافعي ٠ قال العلامة ابن علان في شرح الاذكار المتقدم انما خص هؤلاء للتوسل بالذكر للتوسل بهم في قبول الدعاء والا فهو سبحانه وتعالى رب جميع المخلوقات فافهم ذلك انه من التوسل بالملائكة المشروع ايضاً ٠ وفي دعاء ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اسالك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك و بتوراة موسى وانجيل عيسى وزابور داود وفرقان محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين و بكل وحي اوحيته او قضاء قضيته او سائل اعطيته او غني افنيته اي جعلته صاحب مال يقتنيه او فقير اغنيته او ضال هديته الى آخره رواه ابو الشيخ في كتاب الثواب من رواية عبد الملك بن هارون بن عنترة قال اتى ابو بكر النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اتعلم القرآن و ينفلت مني فذكره ٠ قال العراقي وعبد الملك وابوه ضعيفان وهو منقطع بين هارون وابي بكر اه قلت لكنه يعمل به في الفضائل اتفاقاً كما حققه الائمة وقد ذكره الامام ابو طالب المكي في القوت وحجة الاسلام الغزالي في الاحياء وغيرهما ٠ وفي شرح حزب البحر للشيخ زروق قال بعد ذكر كثير من الاخيار اللهم انا نتوسل اليك بهم فانهم احبوك وما احبوك حتى احببتهم فبحبك اياهم وصلوا الى حبك ونحن لم نصل الى حبهم فيك فتمم لنا ذلك مع العافية الكاملة الشاملة حتى نلقاك يا ارحم الرحمين٠ ولبعض العارفين دعاء مشتمل على قوله اللهم رب الكعبة وبانيها وفاطمة وابيها و بعلها و بنيها نور بصري و بصيرتي وسري وسريرتي ٠ قال بعضهم وقد جرب هذا الدعاء لتنوير البصر وان من ذكره عند الاكتحال نور الله تعالى بصره وذلك من الاسباب العادية وهي لا تأثير لها والمؤثر هو الله تعالى وحده لا شريك له فكما ان الله تعالى جعل

الطعام والشراب سببين للشبع والري لا تأثير لهما والمؤثر هو الله تعالى وحده وجعل الطاعات سبباً للسعادة ونيل الدرجات ٠ جعل ايضاً التوسل بالاخيار الذين عظمهم الله تعالى وامر بتعظيمهم سبباً لقضاء الحاجات فليس في ذلك كفر ولا اشراك معاذ الله ٠ وروى الخطيب البغدادي بسنده عن الحسن بن ابراهيم الخلال انه قال ما همني امر فقصدت قبر موسى بن جعفر يعني الكاظم رضي الله تعالى عنه فتوسلت به الا سهل الله سبحانه لي ما احب ٠ وصح ان الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه قال قبر موسى الكاظم ترياق مجرب ٠ وذكر الامام ابو الحسن الواسطي الذي قال فيه الحافظ الذهبي انه كبير الشأن منقطع القرين كلمة وفاق في كتابه خلاصة الاكسير عند ذكر سيدنا موسى الكاظم المذكور ما نصه : ويعرف في العراق بباب الحوائج الى الله تعالى لنجح المتوسلين به الى الله تعالى وكراماته تحار منها العقول وتقضي بان له قدم صدق عند الله لا يزول اه ٠ وقال العلامة المحقق في كتابه المسمى بالخيرات الحسان في مناقب الامام ابي حنيفة النعمان في الفصل الخامس والعشرين ان الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه ايام هو ببغداد كان يتوسل بالامام ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه يجيئ الى ضريحه يزوره فيسلم عليه ثم يتوسل الى الله تعالى به في قضاء حاجاته وثبت ان الامام احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه توسل بالامام الشافعي رضي الله تعالى عنه حتى تعجب ابنه عبد الله بن الامام احمد فقال له الامام احمد ان الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن ٠ ولما بلغ الامام الشافعي ان اهل المغرب يتوسلون الى الله تعالى بالامام مالك لم ينكر عليهم ٠ وقال الامام ابو الحسن الشاذلي رضى الله تعالى عنه من كانت له الى الله حاجة واراد قضاءها فليتوسل الى الله تعالى بالامام الغزالى ٠ وذكر العلامة المحقق في كتابه المسمى

(بالصواعق المحرقة لاخوان الضلال والزندقة) ان الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه توسل باهل البيت النبوي حيث قال

آل النبي ذريعتي وهم اليه وسيلتي
ارجو بهم اعطى غدا بيدي اليمين صحيفتي

ومن تتبع اذكار السلف والخلف وادعيتهم واورادهم وجد فيها شيئاً كثيرا من التوسل ولم ينكر عليهم احد حتى جاء هؤلاء الملحدون وفي المواهب القسطلانية ان اعرابيا وقف على قبره الشريف صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انك امرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وانا عبدك فأعتقني من النار على قبر حبيبك فهتف به هاتف ياهذا تسأل العتق لك وحدك هلا سألت العتق لجميع المؤمنين اذهب فقد اعتقتك . ثم انشد القسطلاني البيت الاول من البيتين المشهورين وهما

ان الملوك اذا شابت عبيدهم في رقهم اعتقوهم عتق احرار
وانت ياسيدي اولى بذا كرما قد شبت في الرق فاعتقني من النار

ثم قال القسطلاني وعن الحسن البصري قال وقف حاتم الاصم على قبره صلى الله عليه وسلم فقال يارب انا زرنا قبر نبيك صلى عليه الله وسلم فلا تردنا خائبين فنودي ياهذا ما اذناك في زيارة قبر حبيبنا الا وقد قبلناك فارجع انت ومن معك من الزوار مغفورا لكم . واخرج البيهقي عن ابن ابي فديك قال سمعت بعض من ادركت من العلماء والصلحاء يقول بلغنا ان من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلى هذه الآية (ان الله وملائكته يصلون على النبي ياايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) ثم قال صلى الله على محمد وسلم وفي رواية صلى الله عليك يامحمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك

يافلان لم تسقط لك اليوم حاجة ابدا · قال الشيخ المراغي وغيره الاولى ان يقول صلى الله عليك يارسول الله بدل قوله يامحمد للنهي من ندائه باسمه حياً وميتا وابن ابي فديك المذكور هو من اتباع التابعين وكان من الائمة الثقات المشهورين وهو من المروي عنه في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة واسمه محمد بن اسماعيل بن مسلم الديلمي مات سنة مائتين · وعبارة العلامة المحقق في الجوهر المنظم بعد ان ساق هذا · ولا دليل فيما رواه البيهقي عن ابن ابي فديك لجواز ندائه صلى الله عليه وسلم باسمه قد صرح ائمتنا بحرمة ذلك وظاهره انه لافرق بين ان يتقدمه تعظيم له وان لاوهو ظاهر خلافاً لمن بحث تخصيصه بالثاني وذلك لما في النداء بالاسم وان تقدمه تعظيم كما هو جلي من ترك التعظيم اذ مثله يقع من بعضنا لبعض وما تقدمه لانظر اليه لانقضائه وقد قال تعالى (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) قال ائمتنا وانما ينادي بنحو يانبي الله و يارسول الله · فقول الزين المراغي الاولي لمن عمل بالاثر ان يقول يارسول الله وهم بل الصواب ان ذلك واجب لااولى · وظاهر قول شيخ الاسلام والحافظ في فتح الباري انه صلى الله عليه وسلم وان كان ذا اسماء وكنى لكن لا ينبغي ان ينادى بشيء منها والكنية كالاسم فيحرم النداء بها أيضاً و يؤيده قول الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانوا يقولون يا ابا القاسم فنهاهم الله سبحانه وتعالى عن ذلك اعظاماً لنبيه صلى الله عليه وسلم فقال قولوا يا نبي الله يارسول الله وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير · وقال مقاتل لا تسموا اذا دعوتموه يا محمد ولا تقولوا يا ابن عبد الله ولكن شرفوه وقولوا يا نبي الله يارسول الله · وقال قتادة امر الله تعالى ان يهاب نبيه صلى الله عليه وسلم وان يبجل وان يعظم وان يسود اي يقولوا له سيدنا · وقال مالك عن زيد بن

اسلم امرهم سبحانه وتعالى ان يشرفوه فهذه الآثار كلها دالة على ان الكنية كالاسم فيما ذكر ولا يعارض ذلك الحديث الصحيح الذي قدمناه في دعاء الحاجة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي لانه صلى الله عليه وسلم صاحب الحق فله ان يتصرف كيف شاء ولا يقاس به غيره وتعظيم بعض الصحابة ذلك لغيره كما مر يحتمل انه مذهب له او انه رأى الفاظ الدعوات والاذكار يقتصر فيها على الوارد انتهت وقال العلامة الزرقاني في شرح المواهب وردان الداعي اذا قال اللهم اني استشفع اليك بنبيك يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له اه وقد ذكر في المواهب كثيراً من البركات والخيرات التي حصلت له ببركة توسله بالنبي صلى الله عليه وسلم فانظرها ان شئت · وروى البيهقي في الدلائل عن انس رضي الله تعالى عنه ان اعرابياً جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي به وانشد ابياتاً اولها

اتيناك والعذراء يدمى (١) لبانها　　　وقد شغلت ام الصبي عن الطفل

الى ان قال

فليس لنا الا اليك فرارنا　　　واين فرار الخلق الا الى الرسل

فلم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم هذا البيت بل قال انس لما انشد الاعرابي الابيات قام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى رقي المنبر فخطب ودعى لهم فلم يزل يدعو حتى امطرت السماء · وفي صحيح البخاري انه لما جاء الاعرابي وشكى للنبي صلى الله عليه وسلم القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر قال صلى الله عليه وسلم لو كان ابو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي

(١) قوله يدمى لبانها بموعدتين اي يدمى صدورها لامتهانها نفسها في الخدمة حيث لاتجد ما تعطيه من يخدمها من الجدب وشدة الزمان واصل اللبان من الفرس موضع اللبب ثم استعير للناس فاطلق عليها (اه) قسطلاني

كرّم الله تعالى وجهه يارسول الله كانك اردت قوله

وابيض (٢) يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

فتهلل وجه النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر انشاد البيت ولا قوله يستسقي الغمام بوجهه اي ذاته اي يتوسل الى الله تعالى به ولو كان ذلك حراما او شركا كما يزعمه الملحدون لانكره ولم يطلب نشاده · وكان سبب انشاء ابي طالب هذا البيت من جملة قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم اذ قريش في الجاهلية اصابهم قحط فاستسقى لهم ابو طالب وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان صغيراً فاغدودق عليهم السحاب بالمطر فانشأ ابو طالب تلك القصيدة · قال ابن رشد فكانوا تارة يسألون الله تعالى به صلى الله عليه وسلم وتارة يقدمونه للسؤال اه واستحسنه في فتح الباري · ومن الادلة على جواز التوسل بالذات الشريفة ما رواه الطبراني وغيره باسناد صحيح عن عبادة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الابدال في امتي ثلاثون رجلا بهم تقوم الارض وبهم تمطرون وبهم تنصرون · واخرج الامام احمد في الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما خلت الارض من بعد نوح من سبعة اي مسلمين كما في الرواية الاخرى يدفع الله بهم عن اهل الارض · وروى النسائي والبخاري في صحيحه عن مصعب بن سعد انه قال

---

(٢) وقوله وابيض اعربه في المغني مجرورا بالفتحة برب مضمرة ورده الدماميني بان الظاهر انه عطف على سيدا في قوله قبله وما ترك الاقوام الا ابا لك سيدا يحوط الزمار غير ذرب مواكل فهو منصوب والعطف من عطف الصفات التي موصوفها واحد ويجوز رفعه على الخبرية لمحذوف اي هو ابيض فيستسقي الناس الغمام ثمال بوجهه اليتامى اي كافيهم بافضاله او ملجؤهم ومعيشهم وعصمة الارامل اي مانعهم مما يضرهم والارامل الفقرات اللاتي لا زوج لهن واستعماله في الرجال مجاز (اه) لمؤلفه

اسلم امرهم سبحانه وتعالى ان يشرفوه فهذه الآثار كلها دالة على ان الكنية كالاسم فيما ذكر ولا يعارض ذلك الحديث الصحيح الذي قدمناه في دعاء الحاجة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي لانه صلى الله عليه وسلم صاحب الحق فله ان يتصرف كيف شاء ولا يقاس به غيره وتعظيم بعض الصحابة ذلك لغيره كما مر يحتمل انه مذهب له او انه رأى الفاظ الدعوات والاذكار يقتصر فيها على الوارد انتهت وقال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ورد ان الداعي اذا قال اللهم اني استشفع اليك بنبيك يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له اه وقد ذكر في المواهب كثيراً من البركات والخيرات التي حصلت له ببركة توسله بالنبي صلى الله عليه وسلم فانظرها ان شئت . وروى البيهقي في الدلائل عن انس رضي الله تعالى عنه ان اعرابياً جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي به وانشد ابياتاً اولها

اتيناك والعذراء يدمي (١) لبانها وقد شغلت ام الصبي عن الطفل

الى ان قال

فليس لنا الا اليك فرارنا واين فرار الخلق الا الى الرسل

فلم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم هذا البيت بل قال انس لما انشد الاعرابي الابيات قام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى رقي المنبر فخطب ودعى لهم فلم يزل يدعو حتى امطرت السماء . وفي صحيح البخاري انه لما جاء الاعرابي وشكى للنبي صلى الله عليه وسلم القحط فدعا الله فانجابت السماء بالمطر قال صلى الله عليه وسلم لو كان ابو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال علي

---

(١) قوله يدمي لبانها بوعدتين اي يدمي صدورها لامتهانها نفسها في الخدمة حيث لا تجد ما تعطيه من يخدمها من الجدب وشدة الزمان واصل اللبان من الفرس موضع اللبب ثم استعير للناس فاطلق عليها (اه) قسطلاني

كرم الله تعالى وجهه يارسول الله كانك اردت قوله

وابيض (٢) يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فتهلل وجه النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكر انشاد البيت ولا قوله يستسقي الغمام بوجهه اي ذاته اي يتوسل الى الله تعالى به ولو كان ذلك حراما او شركاً كما يزعمه الملحدون لانكره ولم يطالب نشاده ٠ وكان سبب انشاء ابي طالب هذا البيت من جملة قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم ان قريشاً في الجاهلية اصابهم قحط فاستسقى لهم ابو طالب وتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان صغيراً فاغدودق عليهم السحاب بالمطر فانشأ ابو طالب تلك القصيدة ٠ قال ابن رشد فكانوا تارة يسألون الله تعالى به صلى الله عليه وسلم وتارة يقدمونه للسؤال اه واستحسنه في فتح الباري ٠ ومن الادلة على جواز التوسل بالذات الشريفة ما رواه الطبراني وغيره باسناد صحيح عن عبادة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الابدال في امتى ثلاثون رجلا بهم تقوم الارض وبهم تمطرون وبهم تنصرون ٠ واخرج الامام احمد في الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ما خلت الارض من بعد نوح من سبعة اي مسلمين كما في الرواية الاخرى يدفع الله بهم عن اهل الارض ٠ وروى النسائي والبخاري في صحيحه عن مصعب بن سعد انه قال

(٢) وقوله وابيض اعرب به في المغني مجرورا بالفتحة برب مضمرة ورده الدماميني بان الظاهر انه عطف على سيدا في قوله قبله وما ترك الاقوام الا ابا لك سيدا يحوط الزمار غير ذرب مواكل فهو منصوب والعطف من عطف الصفات التي موصوفها واحد ويجوز رفعه على الخبرية لمحذوف اي هو ابيض فيستسقي الناس الغمام ثمال بوجهه اليتامى اي كافيهم بافضاله او ملجؤهم ومعيشهم وعصمة للأرامل اي مانعهم مما يضرهم والارامل الفقرات اللاتي لا زوج لهن واستعماله في الرجال مجاز (اه) لمؤلفه

رأى اي ظن سعد رضي الله تعالى عنه ان له فضلا على من دونه من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم والاحاديث في مثل ذلك كثيرة سنذكر بعضها في موضعه ان شاء الله تعالى . فمن وقف على هذا وامثاله تبين له ان الله سبحانه وتعالى قد جعل من عباده في الارض غياثا يستغيث الناس بهم ولا مانع من ذلك عقلا ولا شرعا لان ذلك كله باذن الله تعالى ومن اقر بالكرامة لم يجد بدا من اعترافه بجواز ذلك وان كانوا في برازخهم لاسيما الارواح فانها باقية لا تفني ولها قوة على معانات الامور الشاقة كالملائكة وسيوافيك بسط القول في ذلك ان شاء الله تعالى . وفي الحديث ان االله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه البلاء فاذا كان الامر كذلك فكيف لا يستشفع بالرجل الصالح في المهات . وقد اتفق المفسرون واهل الحديث على ان قوله تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) نزل في يهود خيبر كانوا قبل وجوده صلى الله عليه اوسلم يحاربون اسدا وغطفان من مشركي العرب وكانوا يقولون اللهم بحق هذا النبي الذي تبعثه آخر الزمان الانصرتنا عليهم فينصرون فلما جاءهم الرسول و راوه كفروا به عنادا وحسدا وفي حواشي البيضاوي نقلا عن السعد التفتازاني ما نصه :والاظهر انهم كانوا يطلبون الفتح من الله تعالى عليهم متوسلين بذكره صلى الله عليه وسلم و يجعلون اسمه شفيعا اه وقال ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد ان اليهود كانوا يحاربون جيرانهم من العرب في الجاهلية و يستنصرون عليهم بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره فيفتح لهم و ينصرون عليهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم كفروا وجحدوا نبوته فاستفتاحهم به مع جحد نبوته مما لا يجتمعان فان

كان استفتاحهم به لانه نبي كان جحد نبوته محالاً وان كان قد جحد نبوته كما يزعمون حقاً كان استفتاحهم به باطلاً وهذا مما لاجواب لاعدائه عنه البتة اه . وفي المولد النبوي لتقي الدين الحصني ما نصه : واذا سمع المسلم ما اشتملت عليه اخلاقه صلى الله عليه وسلم الكريمة من حلمه وعفوه واحتماله عرف قدره عند الله تعالى فيتوسل في اموره ومهماته فانه الشفيع والحبيب الذي اذا طلب منه شيء استشفاعا به اجيب ولا يمنع وقد ارشدك الله تعالى في كتابه العزيز والهم اصفياءه الى ذلك بل توسل به اشد الناس عداوة له وللمؤمنين كما هو مذكور في كتابه المبين فاجابهم اظهارا لتعظيم حبيبه سيد الاولين والآخرين

ان من منع التوسل به صلى الله عليه وسلم

(فقد اعلم الناس بانه اسوأ حالا من اليهود)

قال ابن عباس كانت اهل خيبر تقاتل غطفان كلما التقوا هزمت غطفان اليهود فعاذت اليهود بهذا الدعاء اللهم انا نسالك بحق هذا النبي الذي وعدتنا ان تخرجه لنا آخر الزمان الا نصرتنا عليهم فكانوا اذا التقوا دعوا اي اليهود بهذا الدعاء فتهزم اليهود غطفان فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم كفروا به فانزل الله تعالى قوله (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) اي يدعون بك يا محمد الي آخر الآية . فانظر ارشدك الله تعالى الى هذا الشرف والمكانة له صلى الله عليه وسلم عند ربه عز وجل كيف كان يستجيب لمن هو كافر به ويعلم تعالى انه يكون من اشد الناس عداوة وايذاء له وكان ذلك قبل بروزه الى الوجود فكيف وقد بعث رحمة فمن منع التوسل به صلى الله عليه وسلم فقد اعلم الناس انه اسوأ حالا من اليهود ونادى على نفسه بذلك اه وذكر نحوه الواحدي في كتابه اسباب نزول القرآن وكذا ابو نعيم والحاكم والبيهقي في الدلائل وغيرهم .

وصح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ياعيسى آمن بمحمد ومر من ادركه من امتك ان يؤمنوا به ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لااله الا الله محمد رسول الله فسكن فاذا كان له صلى الله عليه وسلم هذا الفضل والخصوصية افلا يتوسل به · وذكر الحافظ القسطلاني في شرحه لصحيح الامام البخاري عن كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه ان بني اسرائيل كانوا اذا قحطوا استسقوا باهل بيت نبيهم · فعلم بذلك كله ان التوسل مشروع حتى في الامم السابقة · وقال الامام ابن الحاج في المدخل بعد ان ذكر صفة زيارة القبور عموما لفظه فان كان الميت المزار ممن ترجى بركته فيتوسل الى الله تعالى به وكذلك يتوسل الزائر بمن يراه الميت ممن ترجى بركته الى النبي صلى الله عليه وسلم بل يبدأ بالتوسل الى الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم اذ هو العمدة في التوسل والاصل في هذا كله والمشرع له فيتوسل به صلى الله عليه وسلم وبمن تبعه باحسان الى يوم الدين ثم يتوسل باهل تلك المقابر اعني بالصالحين منهم في قضاء حوائجه ومغفرة ذنوبه ثم يدعو لنفسه ولوالديه ولمشايخه ولاقاربه ولاهل تلك المقابر ولاموات المسلمين ولاحيائهم وذريتهم الى يوم الدين ولمن غاب عنه من اخوانه ويجأر الى الله تعالى بالدعاء عندهم ويكثر التوسل بهم الى الله تعالى لانه سبحانه وتعالى اجتباهم وشرفهم وكرمهم فكما نفع بهم في الدنيا ففي الآخرة اكثر فمن اراد حاجة فليذهب اليهم ويتوسل بهم فانهم الواسطة بين الله تعالى وخلقه وقد تقرر في الشرع وعلم ما لله تعالى بهم من الاعتناء وذلك كثير مشهور · واما عظيم جناب الانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين فياتي الزائر اليهم ويتعين عليه قصدهم من الاماكن

البعيدة فاذا جاء اليهم فليتصف بالذل والانكسار والمسكنة والفقر والفاقة والحاجة والاضطرار والخضوع ويحضر قلبه وخاطره اليهم والى مشاهدتهم بعين قلبه لابعين بصره لانهم لايبلون ولا يتغيرون ثم يثني على الله تعالى بما هو اهله ثم يصلي عليهم و يترضي عن اصحابهم ثم يترحم على التابعين لهم باحسان الى يوم الدين ثم يتوسل الى الله تعالى بهم في قضاء مآربه ومغفرة ذنوبه و يستغيث بهم و يطلب حوائجه منهم و يجزم بالاجابة ببركتهم و يقوى حسن ظنه في ذلك فانهم باب الله المفتوح وجرت سنته سبحانه وتعالى في قضاء الحوائج على ايديهم و بسببهم ومن عجز عن الوصول اليهم فليرسل بالسلام عليهم و يذكر ما يحتاج اليه من حوائجه ومغفرة ذنوبه وستر عيوبه الى غير ذلك فانهم السادة الكرام والكرام لايردون من سألهم ولا من توسل بهم ولا من قصدهم ولامن لجأ اليهم وهذا في زيارة الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عموما واما في زيارة سيد الاولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه فكل ما ذكر يزيد عليه اضعافه اعني في الانكسار والذل والمسكنة لانه الشافع المشفع الذي لاترد شفاعته . ولا يخيب من قصده ولا من نزل بساحته ولا من استعان او استغاث به اذ انه عليه الصلاة والسلام قطب دائرة الكمال وعروس المملكة فمن توسل به او استغاث به او طلب حوائجه منه فلا يرد ولا يخيب لما شهدت به المعاينة والآثار فالتوسل به عليه الصلاة والسلام هو محل حط احمال الأوزار واثقال الذنوب والخطايا لان بركة شفاعته عليه الصلاة والسلام وعظمها عند ربه لايتعاظمها ذنب اذ انها اعظم من الجميع فليستبشر من زاره و يلجأ الى الله تعالى بشفاعة نبيه عليه الصلاة والسلام من لم يزره اللهم لاتحرمنا من شفاعته بحرمته عندك آمين يارب العالمين . ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم الم يسمع

قول الله عز وجل (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) فمن جاء ووقف ببابه وتوسل به وجد الله توابا رحيما لان الله عز وجل منزه عن خلف الميعاد . وقد وعد سبحانه وتعالى بالتوبة والرحمة لمن جاءه ووقف ببابه وسأله واستغفر ربه فهذا لايشك فيه ولا يرتاب الا جاحد للدين معاند لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من الحرمان اه باختصار . فانظر يا أخي هذا الكلام من ذا الامام في الكتاب الموضوع للتحذير من البدع والمبتدعين مع انه قد سارت به الركبان وتداولته الائمة وانتفعت به الامة من وقته الى الان ولم يعلم انه قد عاب عليه في هذا البحث انس ولا جان . وقال صاحب المبدع من السادة الحنابلة يستحب الاستسقاء بمن ظهر صلاحه لانه اقرب الى الاجابة . وقال صاحب التلخيص منهم لا بأس بالتوسل في الاستسقاء بالشيوخ والعلماء المتقين . وقال في منتهي الارادات من كتبهم و يباح التوسل بالصالحين وكذا قال ابن مفلح في فروعه وقال ابن قدامة تلميذ ابن تيمية في كتابه مغني ذوي الافهام و يباح التوسل بالصالحين احياء وامواتاً . وقال السيد احمد ابن مبارك في الذهب الابريز ناقلاً عن شيخه الغوث الدباغ رضي الله تعالى عنه ومن آداب زائر القبور اذا اراد ان يدعو لصاحب قبر و يتوسل الى الله تعالى بولي من اوليائه في اجابة دعوته ان يتوسل اليه تعالى بولي ميت فانه انجح لمقصوده واقرب لاجابة دعوته ثم قال ذكروا ان من اخذ سفرا من البخاري وذهب به الى ضريح ولي وفتحه وتوسل برجال سنده و بذلك الولي الى الله تعالى فان حاجته تقضى ولا سيما اذا كان هو السفر الاخير اه ثم قال ولما مات الشيخ رضي الله تعالى عنه كنت اتكلف في زيارة قبره فوقف علي مناماً فقال لي ان ذاتي ليست بمحجوبة في القبر ففي اي

موضع تطلبني تجدني حتى انك اذا قمت الى سارية في المسجد وتوسلت بي الى الله تعالى فاني اكون معك حينئذ اه باختصار · وفي تفسير سورة النازعات من عناية القاضي اتفق الناس على زيارة مشاهد السلف والتوسل بهم الى الله تعالى وان انكره بعض الملاحدة في عصرنا والمشتكي اليه هو الله تعالى اه ويأتي لذلك مزيد ان شاء الله تعالى · وقال السيد السمهودي في خلاصة الوفاء ان العادة جرت ان من توسل عند شخص بمن له قدر عنده يكرمه لاجله و يقضي حاجته وقد يتوجه بمن له جاه الى من هو اعلى منه اه وقال السيد الدحلان في الدرر واذا جاز التوسل الى الله تعالى بالاعمال الصالحة كما في صحيح البخاري في حديث الثلاثة الذين آووا الى غار من اجل المطر فاطبق عليهم ذلك الغار فتوسل كل واحد منهم الى الله تعالى بارجى عمل له فانفرجت الصخرة التي سدت الغار عليهم عنهم واعمالهم مخلوقة بلا شك فالتوسل به صلى الله عليه وسلم او باخوانه من النبيين وكذا الشهداء والصالحين اولى واحق لانه عليه الصلاة والسلام افضل من كل مخلوق بل لولاه لما وجد مخلوق كما سبق لا سيما لما فيه صلى الله عليه وسلم من النبوة والفضائل التي لا ينكرها الا منافق اعمى سواء كان ذلك في حياته صلى الله عليه وسلم او بعد وفاته كما تقدم فيقال حينئذ ان المؤمن اذا توسل به صلى الله عليه وسلم فانما يريد نبوته التي جمعت الكمالات · واذا كان هؤلاء السدجاء المانعون للتوسل يقولون بجواز التوسل بالاعمال الصالحة مع كونها اعراضاً فالذوات الفاضلة اولى كما فعل عمر رضي الله تعالى عنه في توسله بالعباس رضي الله تعالى عنه وكما توسل الاعمى وصاحب الحاجة التي كانت له عند عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه بالنبي صلى الله عليه وسلم الاول في حياته عليه الصلاة والسلام والثاني بعد وفاته كما مر مبسوطا · وايضاً لو سلمنا ذلك نقول لهم اذا جاز

التوسل بالاعمال الصالحة كما في حديث الغار وهي مخلوقة فما المانع من جوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم باعتبار ما قام به من النبوة والرسالة والكمالات التي فاقت كل كمال وعظمت عن كل عمل صالح في الحال والمآل مع ما ثبت من الاحاديث الدالة على ذلك ومثله سائر الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين وكذا الأولياء وعباد الله الصالحون لما فيهم من الطهارة القدسية ومحبة رب البرية وحيازة اعلى مراتب الطاعة واليقين من رب العالمين وذلك سببه كونهم من عباد الله المقربين فيقضي الله سبحانه وتعالى بالتوسل بهم حوائج المؤمنين انتهى بيسير زيادة . واما دعوى الالوسي وابنه ومن شاكلاه او شاكلهما جواز التوسل الى الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم فقط خصوصية له عليه الصلاة والسلام كما نقل عن فتوى العز بن عبد السلام بذلك وعزاه الفاسي في شرح الدلائل للامام مالك رضي الله تعالى عنه فهي دعوى شاذة فاذة مردودة لم يعول عليها احد من علماء المسلمين والامام مالك رضي الله تعالى عنه بريء منها كما تقدم ووجه الردائة تقرر ان الخصوصية لا تثبت الا بدليل وقد قامت الادلة هنا على عدم الخصوصية بيقين كما رأينا بعضها فرجعنا اليها وتمسكنا بها ومن ثمة قال الامام السبكي في شفاء السقام يجوز التوســل بسائر عباد الله الصالحين والقول بالخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم قولاً بلا دليل اه وازيدك دليلاً آخر على جواز التوسل بغيره صلى الله عليه وسلم من الذوات الفاضلة وان كان ما اسلفناه في ذلك كاف غاية الكفاية لمن سلم من هوى النفس والعماية وهو قياس غير ذاته الشريفة من الذوات المقدسة على ذاته المطهرة في جواز التوسل بها حال الحياة وبعد الممات بجامع الطهارة والكرامة والاسرار وغيرها في كل وان تفاوت ذلك قوة وضعفاً على ان الوسيلة التي امر الله سبحانه وتعالى المؤمنين

بابتغائها في قوله عز من قائل (يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) شاملة بعمومها للذوات الفاضلة لانها في لغة العرب التي نزل بها القرآن الشريف كل ما يتوسل اي يتقرب به الى الغير كما في الصحاح وغيره وسياتي عن الامام الحجة الشيخ محمد بن سليمان الكردي المتقدم ذكره ان العلماء قد اطبقوا على استحباب التوسل بالذوات الفاضلة وان ذلك ثابت في الاحاديث الصحيحة وقد قال الامام الخازن وسبقه البغوي في تفسيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في آية (اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب) المعنى(١) ينظرون ايهم اقرب الى الله تعالى فيتوسلون به اه اي ان الكفار الذين كانوا يعبدون الانبياء والملائكة على انهم ارباب لهم كما قال تعالى (ولا تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) يقول الله تعالى لهم اولئك الذين تعبدونهم هم يتوسلون الى الله بمن هو اقرب اليه اي فهم محتاجون الى من يشفع لهم بطلبهم منه فكيف تجعلونهم اربابا وهم عبيد مفتقرون الى ربهم ومتوسلون بمن هو اعلى مقاما منهم اليه تعالى وحينئذ فمن ادعى او يدعي ان الوسيلة في الآية

(١) قوله المعنى ينظرون ايهم اقرب الى الله تعالى الخ على هذا تكون جملة ايهم اقرب في الآية الشريفة محلها نصب بينظرون مقدرا لدلالة المذكور عليه كاجوزه الحوفي والزجاج في اعراب الآية ودليلهم عليه ماهو الاثبوت المعنى المذكور من الامام ابن عباس ترجمان القرآن رضي الله تعالى عنهما اذ لايقال ذلك بالراي بل بالنقل كما صرح به الامامان ابي الخازن والبغوي وغيرهما فتعقب ابي حيان له في البحر بان في اضمار الفعل المعلق نظرا وانه مع ذلك وجه غير ظاهر مردود اذ يكون هذا الوجه دليلا على جواز اضمار الفعل المذكور وكون ابي حيان ضعيفا في النحو مشهور كما صرح به في حواشي مغني اللبيب وغيرها وحينئذ فدعوى صاحب جريدة المنار ومن تبعه ان هذا التجوز في الآية انما هو من حيرة وجوه الاعراب لا انه متبادر من اللفظ او ماثور عن السلف والحجة ساقطة به بالمرة على انه لايتعين ان يكون الفعل معلقا لجواز ان تكون اي موصولة لا استفهامية (اه) مؤلفه

الشريفة خاصة بالطاعات غير شاملة للذوات المقدسية فعليه الاتيان بالدليل من الشريعة المطهرة ودونه خرط القتاد اذا لم يرد دليل شرعي ولم يقم دليل عقلي على منع التوسل الى الله تعالى بالذوات الفاضلة ابدا حتى يكون ذلك ملجئاً الى تأويل ما ورد صريحا او ظاهرا في جواز التوسل بها من الادلة المتقدمة وغيرها بل لو ورد دليل يمنع الجواز لوجب بمقتضى ادلة الجواز تأويله لتجتمع ادلة الشريعة كما هو القاعدة في مثل ذلك ، وما في تفسير الجلال وغيره من تفسير الوسيلة في الآية بالطاعات فقط ليس يصلح متمسكا للتخصيص بها لانه ليس فيه حصر تفسيرها بذلك ولا نفي عمومها للذوات الفاضلة ان هو الا اقتصار على احد تفاسيرها كما علم من عبارة الخازن والبغوي ويعلم ايضا من الاطلاع على مطولات كتب التفسير ولم نر احداً من المفسرين نص على عدم العموم المذكور كما يزعمه الجهلة المكذبون كيف وهو مؤيد بالادلة الصحيحة التي اوردنا بعضها على ان التوسل الى الله تعالى بالذوات الفاضلة طاعة ايضاً واذا كان من آداب الدعاء كما مر عن ابن الجزري وغيره بل ظاهر سياق الآية يفيد التخصيص بالذوات عكس ما ذكره الجلال لانه تعالى قال (يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) والتقوى عبارة عن فعل المامورات وترك المنهيات فاذا فسرنا الوسيلة بالاعمال الصالحة كان الامر بها تاكيداً للامر بالتقوى فيكون مكرراً واذا اريد بها الذوات يكون تاسيساً وهو خير من التاكيد بلا شك وهذا ما جرى عليه البغوي في تفسيره قال الشيخ داود والاحاديث الصحيحة تؤيده اه وقال العارف بالله تعالى السيد محمد عثمان الميرغني المحجوب المكي في تفسيره تحت هذه الآية او اطلبوا الولي العلامة العالم العامل وتوسلوا به الى جناب مولاكم واطلبوا الدنو به من الحق ينلكم منا كم فانه اعظم وسيلة الى جناب الحق فابتغوه واحترموه تنالوا السبق وفي الخبر

قال صلى الله عليه وسلم الشيخ في قومه كالنبي في امته رواه الخليل(١) في مشيخته انتهى . وقال العلامة المحقق في الدر المنضود اصل الوسيلة لغة ما يتقرب به للكبير قال سبحانه وتعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) قال جمع هي القربة . وقال آخرون كل ما يتوسل اي يتقرب به كالتوسل الى الله تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم انتهى وحينئذ يتحصل ان التوسل سواء كان بالطاعات ومنها الدعاء لباسط الارض ورافع السماء او بالذوات الفاضلة المقربة عند الله تعالى في الحياة و بعد الممات او بجاهها او حقها او حرمتها جائز مشروع بالكتاب والسنة والقياس بل و بالاجماع ايضاً لعدم الاعتداد بالمخالف كما علم مما اسلفناه و يعلم مما ياتي وايضاً حيث قد ثبت في الصحيح واطبق عليه الفقهاء من ان من الصق بطنه بالملتزم وتوسل به الى الله تعالى فان الله تعالى لا يخيبه والملتزم احجار فكيف يدعى المنع من التوسل بالذوات الفاضلة و يرتكب تأويل ما ورد صريحاً او ظاهراً في الجواز بالتشهي لاجل شبهة خرافية (سبحانك هذا بهتان عظيم) نعم ينبغي ان يكون ذلك التوسل مع الادب الكامل واجتناب الالفاظ التي لا تليق او توهم التأثير لغير الله تعالى فقول محمود الالوسي ان التوسل به صلى الله عليه وسلم يؤول الى التوسل بجاهه عند الله ونحو ذلك لا بالذات البحت فان التوسل بذلك غير معقول عند ذوي

(١) قوله رواه الخليل في مشيخته اسي ورواه ايضاً ابن النجار عن ابي رافع والشيرازي في الالقاب عن ابن عمر واسنده الدارمي واخرجه ابن حبان لكن في الضعفاء وذكره السيوطي في جامعه الصغير قال ذلك كله العلامة القاري في موضوعاته رداً به على من زعم وضعه و بطلانه كالسخاوي وابن تيمية قال و يقويه من حيث المعنى حديث صحيح المبنى وهو العلماء ورثة الانبياء و يقويه قوله تعالى (فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) اه لمؤلفه

المقول اه فيه مجازفة واساءة أدب ومؤاخذة لان النص عام ليس فيه هذا التأويل كما علمت وحديث الاعمى صريح في التوسل بنفس النبي صلى الله عليه وسلم فمن زعم ان المراد الجاه ونحوه ومنع كونه بمحض الذات فعليه البيان ولأن اهل الحديث والاخبار والسير قد اجمعوا على ان قريشاً قحطوا والنبي صلى الله عليه وسلم رضيع فاستسقى به ابو طالب بأن رفعه بين يديه فسقاهم الله تعالى ودل على هذا حديث البخاري في صحيحه كما مر وقد صرح القرآن والسنة الشريفان بأن مجرد وجود الذوات الفاضلة مانع من نزول العذاب كما تقدم بيانه وورد عن الصحابة في احاديث صحيحة عند البخاري وغيره انهم كانوا يستشفعون الى الله تعالى بشعره صلى الله عليه وسلم وعرقه وبردته وآثاره ويرجون بركة ذلك وهي جمادات لا يتصور فيها الجاه ونحوه بل جاء في الصحيح لولا البهائم الرتع والصبيان الرضع والشيوخ الركع لصب عليكم العذاب صباً فجعل ذوات هذه الاشياء مانعة من صب العذاب وليس لها جاه فكيف بذات النبي صلى الله عليه وسلم المخلوقة من نوره تعالى كما في حديث جابر المشهور . وقد تقدم ايضاً استسقاء الصحابة به صلى الله عليه وسلم بعد موته بفتح كوة من قبره الشريف الى السماء بل ترجم بعض المحدثين لذلك بالاستسقاء بقبره الشريف فكيف لا يتوسل بمحض ذاته التي شرفت الوجود كله وبالجملة فيقال لمحمود الالوسي وامثاله من اين لكم ان التوسل به صلى الله عليه وسلم يؤول الى التوسل بجاهه ونحوه لا بمجرد ذاته حتى حملتم حديث الاعمى وما شابهه من الادلة على ذلك فان كان بنص عن الله تعالى ورسوله واصحابه فبينوه ونحن نسلمه ونقبله ان خلا عن خدش وان كان من عند انفسكم فغير مقبول منكم لانه لا يجوز لاحد ان يبتدع في الدين ما لم يرد به نص ولم يشهد له دليل من الشريعة مع انهم ينفون توسط احد من المخلوقات

لابجاه ولا حرمة فيكون كلامهم متناقضاً وغير مقبول عند ذوي العقول فان حديث الاعمى السابق فيه الامر بتوسط النبي صلى الله عليه وسلم وندائه وقد استعمله الصحابة بعده صلى الله عليه وسلم وذكره المحدثون والفقهاء كما مر ويرحم الله تعالى القائل

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة ... وان كنت تدري فالمصيبة اعظم

ادلة جواز طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم
(وجواز التشفع به الى الله تعالى)

هذا ومن ادلة جواز طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم ما في قصة سواد بن قارب رضي الله تعالى عنه التى رواها الطبراني في كبيره وذلك ان سواد بن قارب رضي الله تعالى عنه انشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدة التى فيها التوسل وطلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه فمنها قوله

واشهد ان الله لا رب غيره ... وانك مأمون على كل غائب

وانك ادنى المرسلين وسيلة ... الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب

فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل ... وان كان فيما فيه شيب الذوائب

وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة ... بمغن فتيلاً عن سواد بن قارب

فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله ادنى المرسلين وسيلة ولا قوله وكن لي شفيعاً . ومن ذلك ايضاً ما في خبر مازن بن العضوبة الطائي رضي الله تعالى عنه المروي عند البيهقي في الدلائل وعند الطبراني وابن السكن والفاكهي في كتاب مكة وابن قانع كلهم من طريق هشام ابن الكلبي عن ابيه قال حدثني عبد الله العماني قال قال مازن بن العضوبة فذكر حديثاً طويلاً اقتصر القسطلاني في المواهب منه على حاجته وفيه انه انشد النبي صلى الله عليه وسلم قوله

اليك رسول الله خبت مطيتي　　تجوب الفيافي من عمان الى العرج

لتشفع لي ياخير من وطئ الحصى　　فيغفر لي ذنبي وارجع بالفلج

اي الفوز وتجوب تقطع وخبت اي سارت سيراً شديداً ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بل ورد طلب كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه الشفاعة من بعض اهل البيت النبوي رضي الله تعالى عنهم فروى ابن سعد وذكره القاضي عياض في الشفاء عن كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه انه قال ليس مؤمن من آل محمد الا له الشفاعة وانه طلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيامة . قال في النسيم وفيه تكريم لآل البيت وما يقتضي محبتهم رجاء شفاعتهم فيمن احبهم اه . ومن ادلة جواز التوسل ايضاً مع ندائه صلى الله عليه وسلم بعد وفاته مرثية (١) صفية رضي الله تعالى عنها عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها رثته بعد وفاته بابيات فيها قولها

(١) قوله مرثية عمته صفية المرثية بتخفيف الياء مصدر محمدة وتشديد الياء لحن محض وهذا المصدر يضاف تارة الى الفاعل فيقال مرثية فلان الشاعر وتارة الى المفعول فيقال مرثية فلان المتوفي واما القصيدة فهي مرثي بها وللدنوشري في حواشي التصريح ومرثية بلا تشديد ياء . كمحمدة ومن شدد فمخطي اه الرثاء المباح هو التوجع على الميت والتحزن عليه لا مدحه وذكر محاسنه الباعث على تهييج الحزن وتجديد اللوعة فان هذا منهي عنه وقد اطلق الجوهري الرثاء على عد محاسن الميت مع البكاء وعلى نظم الشعر فيه والاوجه حمل النهي على ما فيه تهييج الحزن كما مر او على ما يظهر فيه تبرم وعلى فعله مع الاجتماع له او على الاكثار منه دون ما عدا ذلك فما زال كثير من الصحابة وغيرهم من العلماء يفعلونه اه قسطلاني على البخاري . وفي السيرة النبوية ان الندب المحرم وهو تعديد محاسن الميت يحرم اذا قارنه البكاء وان محل كراهة نعي الجاهلية وهو النداء بذكر محاسن الميت اذا كان ذلك على وجه التفاخر والتعاظم ولم يكن وصفاً لنحو صالح للبحث على سلوك طريقته كما وقع منه صلى الله عليه وسلم عند قتل عمه حمزة رضي الله تعالى عنه اه لمؤلفه

الا يارسول الله انت رجاؤنا　　وكنت بنا برا ولم تك جافيا

ففي ذلك النداء بعد وفاته مع قولها انت رجاءنا وقد سمع تلك المرثية الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فلم ينكر عليها احد منهم قولها يارسول الله انت رجاؤنا . ومن ادلة التشفع به صلى الله عليه وسلم ما رواه ابو داود في السنن وغيره من ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نستشفع بك على الله تعالى ونستشفع بالله تعالى عليك فسبح النبي صلى الله عليه وسلم حتى روئى ذلك في وجوه اصحابه ثم قال صلى الله عليه وسلم ويحك اتدرى ما الله تعالى ان الله لايستشفع به على احد من خلقه شأن الله تعالى اعظم من ذلك فلم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم قوله نستشفع بك على الله تعالى وانما انكر قوله نستشفع بالله تعالى عليك . وما اضعف قول محمود الالوسى في تفسيره مؤولا هذا الحديث الشريف بما يوافق عقيدته ان معنى الاستشفاع به صلى الله عليه وسلم طلب الدعاء منه اه . واعلم انه يقاس على سؤال الله تعالى بالحق والحرمة الواردين في الاحاديث السابقة سؤاله تعالى بالجاه والقدر لمن هما له عند الله تعالى كأن يقال اللهم اني اسالك بجاه او بقدر نبيك والانبياء من قبله . وقد ذكر شيخ الاسلام الشرقاوي في آخر حواشيه على شرح الهدهدي لصغرى السنوسي وشيخ الطريقة الصاوي في شرحه لصلوات القطب الدردير والعلامة الشيخ علي بن عبد البر الونائي في المنح الالهية ان في الحديث الشريف توسلوا الى الله تعالى بجاهي فان جاهي عند الله عظيم وهو حديث مشهور على ألسنة العلماء الاكابر وهؤلاء الذين سطروه في كتبهم بعنوان انه حديث كلهم ثقات اثبات يعلمون الاتفاق على انه لايحل لمسلم ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ الا اذا كان مرويا عنه ولو على اقل وجوه الروايات وكتبهم متداولة بين العلماء

كابرا عن كابر . وقد قال العلامة الشيخ عبد الحي اللكنوي في الاجوبة الفاضلة ان الاسناد وان كان لا بد منه في كل امر من امور الدين لكن قد يقوم مقامه نقل من يعتمد عليه وتصريح من يستند اليه لاسيما في الاعصار المتاخرة لفوات اهتمام الاسناد فيها بالشروط المقررة فان شدد فيها بطلب الاسناد في كل امر فات المراد فيكتفى بتصريح من عليه الاعتماد ولهذا جوزوا العمل والاثبات بالاحاديث المدونة في الكتب المعتمدة وان لم يوجد لها عند العامل والمثبت طريق متصل الى صاحب الحديث او الى مؤلف الكتب المدونة قال وجوزوا ايضا الاعتماد في المسائل الفقهية على نقل معتمدي الملة الحنيفية وان لم يوجد عند المفتي سند مسلسل الى حضرات الائمة العلية اه ثم نقل على ذلك نصوصا كثيرة فانظرها ان شئت . وفي شرح عصرينا الفاضل الشيخ محمد نووي الجاوي على مقدمة معاصرنا ايضا الاستاذ الشيخ محمد حسب الله كلاهما من علماء مكة المشرفة انه روي عن الامام علي رضي الله تعالى عنه مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قال ليلة الجمعة ولو مرة اللهم صل على سيدنا محمد النبي الامي الحبيب العالي القدر العظيم الجاه وعلى آله وصحبه وسلم كنت الحده بيدي . وقول الالوسي في تفسيره وما يذكره بعض العامة من قوله صلى الله عليه وسلم اذا كانت لكم الى الله تعالى حاجة فاسألوا الله بجاهي فان جاهي عند الله عظيم لم يروه احد من اهل العلم ولا هو في شيء من كتب الحديث اه ان عني بهذا اللفظ الذي ذكره فربما اسلمه له الا ان لضيق وقتي عن البحث والمراجعة وان عنى ولا بغير اللفظ المذكور كان في محل المنع وعدم التسليم لما علمته على ان الالوسي المذكور موافق لنا بمجرد رأيه بعد نبذه بعض الادلة على جواز التوسل وتأويله بعضها الآخر مما وصل اليه بما هو في غاية من البعد والسقوط

كما اتضح مما اسلفناه على جواز التوسل بالجاه والحرمة بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم وكل من علم ان له جاها او حرمة عند الله تعالى كالمقطوع بصلاحه وولايته قلت او من يغلب على الظن فيه ذلك كما يعلم مما يأتي · قال العلامة المحقق في الجوهر المنظم والسيد السمهودي في خلاصة الوفاء وغيرهما ولا فرق في التوسل بين ان يكون بلفظ التوسل او التشفع او الاستغاثة او التوجه لان التوجه من الجاه وهو علو المنزلة وقد يتوسل بذي الجاه الى من هو اعلى منه جاها والاستغاثة معناها طلب الغوث والمستغيث يطلب من المستغاث به ان يحصل له الغوث من غيره وان كان اعلى منه فالتوجه والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وبغيره من الانبياء والصالحين ليس لها معنى في قلوب المسلمين الا طلب الغوث حقيقة من الله تعالى ومجازاً بالتسبب العادي من غيره ولا يقصد احد من المسلمين غير ذلك المعنى فمن لم يشرح صدره لذلك فليبك على نفسه نسأل الله تعالى العافية في المستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى واما النبي صلى الله عليه وسلم فهو واسطة بينه وبين المستغيث فهو سبحانه وتعالى مستغاث به حقيقة والغوث منه بالخلق والايجاد والنبي صلى الله عليه وسلم مستغاث به مجازاً والغوث منه بالكسب والتسبب العادي باعتبار توجهه وتشفعه عند الله لعلوّ منزلته وقدره ولا يعارض ذلك ما رواه الطبراني في معجمه من انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال الصديق رضي الله تعالى عنه قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق فجاؤا اليه صلى الله عليه وسلم فقال انه لا يستغاث بي انما يستغاث بالله عز وجل لانه لا يصح الاحتجاج به اذ في اسناده ابن لهيعة الذي قدمنا بعض ما قيل فيه في مقدمة هذا الكتاب ولما يأتي من النصوص الصحيحة القطعية المشتملة على حصول

الاستغاثة بالمخلوق . وبفرض صحة هذا المروي لا يكون نصافي المنع وان زعمه الالوسي في تفسيره واقره عليه ولده في جلائه لانهما واضرابهما من اجهل الناس بالاحاديث بل على الفرض المذكور يكون ذاك المروي على طريق قوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) اي وما رميت خلقا وايجادا اذ رميت تسببا وكسبا ولكن الله رمى خلقا وايجادا وقوله تعالى (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) وقوله صلى الله عليه وسلم (ما انا حملتكم ولكن الله حملكم) اي انا وان استغيث بي فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى فيكون ارشادا للامة الى العقيدة وكثيرا ما تجيء السنة لبيان حقيقة الامر ويجيء القرآن الكريم باضافة الفعل لمكتسبه ويسنداليه مجازا كقوله تعالى (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) وقوله صلى الله عليه وسلم (لن يدخل احدكم الجنة بعمله) فالآية بيان للسبب العادي والحديث لبيان سبب فعل الفاعل الحقيقي وهو فضل الله تعالى ويؤيده ما اسلفناه عن الشرنبلالي رحمه الله تعالى من ان العبد ينسب له الفعل ويضاف اليه وان كان ايجاده له مجازيا اي شرعا والا فهو حقيقة لغوية بحيث يطلق عليه اسم الموجد مجازا والفاعل الحقيقي هو الله تعالى اه وقال العلامة ابن الشحنة في منظومته

فافعال الورى خيرًا وشرًّا ... بخلق الله ثم بالاكتساب

فنعزوها له عز واختراع ... ونعزوها لهم عز واكتساب

وبالجملة فاطلاق لفظ الاستغاثة لمن يحصل منه غوث باعتبار الكسب امر معلوم لا شك فيه لغة ولا شرعاً فاذا قلت اغثني يا الله تريد الاسناد الحقيقي باعتبار الخلق والايجاد واذا قلت اغثني يا رسول الله تريد الاسناد المجازي باعتبار التسبب والكسب والتوسط بالشفاعة وحينئذ يتعين تاويل المروي المذكور بما

قلناه ولو تتبعنا كلام الائمة وسلف الامة وخلفها لوجدنا شيئاً كثيراً من اسناد الاستغاثة والاستجارة الى المخلوق بل في القرآن الشريف والاحاديث الصحيحة كثير من ذلك ومنه ما في سورة التوبة (وان احد من المشركين استجارك فاجره) وما في سورة القصص (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه) ثم قال تعالى (فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه) والاستصراخ في اللغة الاغاثة من الصراخ لان المستغيث يصوت و يصرخ في طلب الغوث . وفي الحديث الصحيح مفسراً الاستغاثة في القصة المذكورة قال الاسرائيلي لموسى اغثني من هذا العدو وانصرني عليه فاغاثه بأن ضرب القبطي فقتله . ومنه ايضاً ما رواه البخاري في صحيحه في مبحث الحشر ووقوف الناس للحساب يوم القيامة بيناهم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهما فتأمل يا أخي التعبير باستجارك وفاستغاثه واستنصره و يستصرخه واغثني واستغاثوا فان الاستجارة والاستغاثة والاستنصار بنبينا وآدم وموسى عليهم الصلاة والسلام ما هي الا مجازية والمستجار والمستنصر والمستغاث به حقيقة هو الله تعالى ومع ذلك وقع اسناد ما ذكر اليهم . وكتب الشيخ داود على قوله تعالى (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) ما بعضه وجه الاستدلال بهذه الآية اي على جواز الاستغاثة بالمخلوق ان الله تعالى نسب الاستغاثة وهي طلب الغوث الى غيره من المخلوقات فلو كان ذلك ممنوعاً لما جازت هذه النسبة واما ما قيل ان هذا حي وله قدرة فنقول له : ان كان نسبة القدرة اليه على اعتقاد انه الفاعل استقلالا من دون الله تعالى فهو كفر وان كان بقدرة الله تعالى وهو سبب ووسيلة فلا فرق بين الحي والميت لان الميت له تسبب بدعاء او كرامة او ان الله يقدره والجميع راجع اليه تعالى . فتعين ان

نسبة الاغاثة الى الله تعالى على الحقيقة والى غيره على السبب والمجاز اه · وروى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر في قصة هاجر ام اسماعيل عليه السلام انه لما ادركها وولدها العطش فجعلت تسعى في طلب الماء فسمعت صوتاً ولا ترى شخصاً فقالت اغث ان كان عندك غوث اه · ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذا لاصحابه فلو كان طلب الغوث من غير الله تعالى ممنوعا او شركا ما جاز لها استعماله ولما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ولم ينكره ولما نقله الصحابة من بعده وذكره المحدثون لاسيما البخاري الذي اجتمعت الامة على انه ما بعد كتاب الله تعالى اصح من كتابه فان هذا الغائب الذي طلبت منه الغوث وان كان في الحقيقة هو ملك لكن في حال غيبته محتمل ان يكون غير ملك والمانعون لايجوزون الاستغاثة بالغائب مطلقا لا لنبي مرسل ولا ملك مقرب كما لايجوزونها بالميت كما صرحوا بذلك في مواضع فلو يعلم النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك محذورا لوجب التنبيه عليه خصوصا اذا كان شركا اكبر مخرجا من الملة كما يزعمه المانعون · واما جوابهم عن حديث الموقف السالف بانه في القيامة فيكونون قد استغاثوا بمن له قدرة فمردود عليهم بان الانبياء في حال حياتهم الدنيوية لاقدرة لهم الا بنوع التسبب فكذلك بعد الموت مع انهم احياء في قبورهم يتسببون بالدعاء وغيره كما مر والخالق للافعال في كل حال هو الله تعالى وحده على ان هؤلاء المانعين يستدلون على المنع بحديث الطبراني الذي فيه ذكر المنافق السابق فيقال لهم على فرض صحة الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قد نفى فيه عن نفسه الاستغاثة وهو حي قادر على التسبب وكم سأله الصحابة امورا لا يقدر عليها البشر فاعطاهم ما سألوا بتسببه عند ربه والله تعالى يفعل له فكيف يمنعون الاستغاثة بذلك الحديث ويثبتونها بحديث الموقف

وهل هذا الا تناقض فما كان جوابهم في حديث الحياة فهو الجواب في حال الممات والخلاف انما هو في اطلاق اللفظ وقد ثبت بالنص القرآني وبالاحاديث الصحيحة وليس الخلاف في التاويل فاننا نقول به ولا نقول ان احدا يفعل استقلالا من دون الله تعالى بل نكفر من يزعم ذلك · هذا وازيدك انه صح عنه صلى الله عليه وسلم لمن اضل شيأ او اراد عونا وهو بارض لا انيس بها ان يقول ياعباد الله اعينوني وفي رواية اغيثوني رواه الحافظان ابن الجزري والسيوطي والطبراني في كبيره بسند جيد وهو ارشاد منه صلى الله عليه وسلم للتوسل والاستغاثة بعباد الله الصالحين · قال الشيخ علي القاري في شرح الحصن والمراد بهم الملائكة او المسلمون من الجن او رجال الغيب المسمون بالابدال · وجاء في حديث قصة قارون لما خسف به انه استغاث بموسى عليه السلام فلم يغثه بل صار يقول يا ارض خذيه فعاتب الله تعالى موسى حيث لم يغثه وقال له استغاث بك فلم تغثه ولو استغاث بي لاغثته فاسناد الاغاثة الى الله تعالى اسناد حقيقي واسنادها الى موسى مجازي · وقد جاء من اسمائه صلى الله عليه وسلم التي هي توقيفية باتفاق غوث وغيث وغياث وشافع وشفيع ومشفع وشاف وهاد ومنجي وناصر وكاشف الكرب وصاحب الفرج · وقد تقرر في اللغة العربية انه لا يسمى بالمشتق الا من قام به معناه لان من لم يقم به وصف لا يشتق له منه اسم فلا يقال قائم الا لمن اتصف بالقيام مثلا وهكذا كما هو مقتضى قواعد اللغة فلم يسم صلى الله عليه وسلم بهذه الاسماء ونحوها من المشتقات الا لوجود معناها فيه قطعا وال الداخلة على الاسم المشتق للمح الاصل وهو الوصفية وحيث كان المسمي له هو الله تعالى فلا يصح ان تكون تسميته خالية عن ذلك المعنى والا لكانت عبثا وهو لا يقع من الحكيم فتامله · قال العلامة المحقق في الجوهر .

وسبقه السيد السمهودي في خلاصة الوفاء وقد يكون معنى التوسل به صلى الله عليه وسلم طلب الدعاء منه اذ هو صلى الله عليه وسلم حي في قبره يعلم سؤال من يسأله اى كبقية من جاءت الشريعة بحياتهم عند الله تعالى في قبورهم كما ستعرفه · وسيأتي في حديث بلال بن الحارث الصحابي رضي الله تعالى عنه المذكور فيه انه جاء الى قبره صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله استسق لامتك اي ادع الله لهم وهو مروي عند البيهقي وابن ابي شيبة بسند صحيح · فعلم منه انه صلى الله عليه وسلم يطلب منه الدعاء بحصول الحاجات كما كان يطلب منه في حياته لعلمه بسؤال من يسأله مع قدرته على التسبب في حصول ما سئل فيه بسؤاله ودعائه وشفاعته الى ربه عز وجل · فقد اتضح من هذه النصوص القرآنية والاحاديث النبوية والآثار المروية عن سلف الامة وخلفها ان التوسل بنبينا صلى الله عليه وسلم وبغيره من الاكابر والاستغاثة بهم وطلب الشفاعة منهم ثابتة عنهم قطعا في الحياة وبعد الممات بلا شك ولا مرية وان ذلك كزيارتهم ولو بالسفر من اعظم القربات وان جعل النبي والصالح متسببا لا مانع منه شرعا ولا عقلا لان ذلك كله باذن الله تعالى ومن اقر بالكرامة من الصالحين كما هو مذهب اهل السنة والجماعة وانها باذن الله تعالى لم يجد بدءا من اعترافه بجواز ذلك ووقوعه وكيف لا والآيات القرآنية والاحاديث النبوية قد عاضدته والآثار قد ساعدته ومن جعل الله فيه قدرة كاسبة للفعل مع اعتقاد انه تعالى هو الخالق كيف يمتنع عليه طلب ذلك الشيء وما هنا من قبيل ذلك فان الله تعالى قد قرب انبياءه ورسله وصالحي عباده واوجب على الخلق برهم وتعظيمهم وقد خلق فيهم قوة كاسبة اقلها الدعاء لمن تسبب بهم في انفاذ مسئولهم وهم في برازخهم ودار كراماتهم وتفضل الله تعالى بكل ذلك عليهم والكلام انما هو في اطلاق

الالفاظ فافهم والله سبحانه يتولى هداك · وقال العلامة المحقق ايضاً وقد علم مما ذكرناه انه صلى الله عليه وسلم يتوسل به في كل خير قبل بروزه لهذا العالم وبعده في حياته وبعد وفاته وسيكون التوسل به ايضاً بعد البعث في عرصات القيامة اي مواطنها فيشفع الى ربه وكل هذا مما تواترت به الاخبار وقام عليه الاجماع قبل ظهور المانعين منه فهو صلى الله عليه وسلم له الجاه الوسيع والقدر المنيع عند سيده ومولاه المنعم عليه بما حباه واولاه اه · ولو تتبعنا ما وقع من اكابر الامة صحابة وغيرهم في التوسل والاستغاثة والتشفع بمن له قدر عند الله تعالى لامتلأت بذلك الصحف وفيما ذكر كفاية ومقنع لمن كان براغي له مع التوفيق ومسمع ان شاء الله تعالى · وبهذا يبطل ما افتراه الوهابيون فيما نقله عنهم نعمان الالوسي في جلائه من انه يمتنع ان يطلب من الانبياء شيء بعد وفاتهم سواء كان بلفظ استغاثة او توجه او استشفاع او غير ذلك لان جميعه من وظائف الالوهية فلا يليق جعله لمن يتصف بالعبودية اه · ومما يبطله ايضاً ما سنذكره في الاجوبة عن شبههم السابقة اول الباب فكن على بصيرة · وقد قال العلامة المجتهد الامام البلقيني في جواب سؤال رفع اليه فيمن قال مادحاً النبي صلى الله عليه وسلم

فاشفع لقائلها يامن شفاعته نفك من هو مكبوت ومكبول

فاعترضه معترض بان سؤال النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد فقال في الجواب عن ذلك الله الله الله لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن لقد ارتكب هذا المعترض من قبائح اتي بها على انها نصائح فجأت عليه فضائح ولقد اخطأ فيها وما اصاب وكثر به وبامثاله المصاب الى ان قال ولقد جهل جهلاً قبيحاً بقوله فاما سؤال النبي صلى الله عليه وسلم نفسه

فلا كيف لانساله وهو وسيلتنا ووسيلة ابينا من قبلنا الى ربنا جل جلاله وقد سأله عكاشة وغيره من الصحابة كما ثبت في الصحيح الى آخر كلامه . وقال الحافظ الذهبي في كتابه ذيل العبر باخبار من غبر انه في سنة ٧٢٥ ضرب بمصر الشهاب بن مري التيمي وسجن ثم نفي لنهيه عن الاستغاثة والتوسل باحد غير الله تعالى ومقت لذلك ثم فر الى الجزيرة واقام بها سنين اه . وقال الحافظ السيوطي في المستقصى في فضائل المسجد الاقصى اثناء الكلام في بحث زيارة الخليل عليه السلام ما صورته : ويقول يانبي الله اني متوجه بك الى ربي في حوائجي لتقضى لي الى ان قال ثم يتوجه الى الله تعالى بجميع انبيائه خصوصا سيد الاولين والآخرين سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ثم قال عن كعب ولا يتوسل احد بابراهيم عليه السلام الا اعطاه الله ما سال واضعف له ذلك زيادة لكرامة ابراهيم عليه السلام . وحدث الحسن بن موسى بن الحسن التاجر قال حدثني رجل من اهل بعلبك قال زرنا ابراهيم الخليل عليه السلام وكان معنا رجل مفضل من اهل بعلبك فسماه وقد زار قبر ابراهيم الخليل عليه السلام وهو يبكي ويقول حبيبي ابراهيم سل ربك يكفني ثلاثا فانهم يوذونني ثم رجعنا الى يافا فوصل قارب من بيروت فحدثنا ان الثلاثة الذين سماهم ماتوا اهـ . وقال العلامة المحقق في الجوهر المنظم من خرافات ابن تيمية التي لم يقلها عالم قبله وصار بها بين الانام مثلة انه انكر الاستغاثة والتوسل به صلى الله عليه وسلم وليس كما افترى بل التوسل به حسن في كل حال قبل خلقه وبعده في الدنيا والآخرة ومما يدل لطلب التوسل به صلى الله عليه وسلم قبل خلقه وان ذلك سيرة السلف الصالح والانبياء والاولياء وغيرهم ما اخرجه الحاكم وصححه فقول ابن تيمية لا اصل له من افترائه ثم ذكر حديث توسل آدم به صلى الله عليه وسلم لما اقترف

الخطيئة الى آخر ما ذكر مما اسلفناه اه

رد قولهم ان منع التوسل انما هو لاجل المحافظة على التوحيد الى آخره

واما تخيل هؤلاء المفترين المحرومين من بركاته صلى الله عليه وسلم ان منع التوسل مطلقاً انما هو لاجل المحافظة على التوحيد الخ فهو تخيل فاسد باطل كتخيلهم السابق في منع الزيارة لانه اذا فعل التوسل مع المحافظة على آداب الشريعة الغراء كما تقدم لا يكون محذوراً ولا يؤدي الى محذور البتة ودعواهم ان المنع سد للزريعة تقول على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم اذ من هي عندهم قاعدة مقررة لا يقولون بها في كل مقام كما بينه احد محققيهم الامام القرافي وقد مر التنبيه على ذلك وكان اولئك المحرومين يعتقدون انه لا يجوز تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم فحيثما صدر من احد تعظيم له صلى الله عليه وسلم حكموا على فاعله بالكفر والاشراك وليس الامر كما يقولون فان الله تعالى قد عظم النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم بانواع التعظيم فيجب علينا ان نعظم من عظمه الله تعالى وامر بتعظيمه نعم يجب علينا ان لا نصفه بشيء من صفات الربوبية ورحم الله تعالى الابوصيري حيث قال :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم　　واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

فليس في تعظيمه صلى الله عليه وسلم بغير صفات الربوبية شيء من الكفر ولا من الاشراك بل ذلك من اعظم الطاعات والقربات وهكذا كل من عظمهم الله تعالى كالانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وكالملائكة والصديقين والشهداء والصالحين قال الله تعالى (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) وقال ايضاً (ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه) وفي الحديث الشريف تخلقوا باخلاق الله . ومن تعظيمه صلى الله

عليه وسلم الفرح بليلة ولادته وقراءة المولد والقيام عند ذكر ولادته صلى الله عليه وسلم واطعام الطعام وغير ذلك مما يعتاد الناس فعله من انواع البر فان ذلك كله من تعظيمه صلى الله عليه وسلم وقد افردت مسئلة المولد وما يتعلق بها بالتأليف واعتنى بذلك كثير من العلماء فالفوا في ذلك مصنفات مشحونة بالادلة والبراهين فلا حاجة لنا الى الاطالة بذلك • ومن احسن ما الف فيه كتاب شيخي واستاذي العلامة في كل فن الشيخ احمد بن اسماعيل الحلواني الخليجي المتوفي يوم عرفة من سنة ١٣٠٨ المسمى بمواكب ربيع في مولد الشفيع الذي سارت به الركبان واقبل عليه اهل العرفان من جميع البلدان • وقد اختصرت انا منه باذن الشيخ رضي الله تعالى عنه الموكب العاشر المشتمل على حديث الولادة الشريفة ووشحته بنفائس عرائس وقد طالعه الشيخ رحمه الله تعالى حال حياته حرفاً حرفاً فاعجبه كثيراً مع انه كان رضي الله تعالى عنه حريصاً جداً على عدم اختصار احد لشيء من مؤلفاته العديدة النافعة خوفاً من ان تهجر حسبما جرت به عادة المتاخرين وعلومه ومكارمه رضي الله تعالى عنه ونفعنا بها اشهر من ان تذكر وفي العزم ان شاء الله تعالى ان افردها بكتاب مخصوص هذا • ومما امر الله تعالى بتعظيمه ايضاً الكعبة المشرفة والحجر الاسود ومقام ابراهيم عليه السلام مع كونها احجاراً فقد امرنا بتعظيم الكعبة بالطواف بها ومس الركن اليماني وتقبيل الحجر الاسود وبالصلاة خلف مقام ابراهيم عليه السلام وبالوقوف للدعاء عند المستجار والمشعر الحرام وباب الكعبة والملتزم والميزاب كما جرى على ذلك السلف والخلف وكلهم في ذلك لا يعبدون الا الله تعالى وحده ولا يعتقدون تأثيراً لغيره ولا نفعاً ولا ضراً لان ذلك لا يكون الا لله تعالى وحده ولا يكون لاحد سواه • وقد تقدم ان معنا امرين • احدهما وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه

وسلم ورفع رتبته على سائر المخلوقات . وثانيهما افراد الربوبية بالعبادة وباعتقاد ان الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وافعاله عن جميع خلقه ولا يعبد سواه فمن اعتقد في مخلوق مشاركة الباري سبحانه وتعالى في شيء من ذلك فقد اشرك وصار كالمشركين الذين كانوا يعتقدون الالوهية للاصنام او استحقاقها العبادة كالرب سبحانه وتعالى ومن قصر بالرسول صلى الله عليه وسلم في شيء من مرتبته فقد عصى او كفر واما من بالغ في تعظيمه بانواع التعظيم ولم يصفه بشيء من صفات الربوبية فقد اصاب الحق وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعاً وذلك هو القول الذي لا افراط فيه ولا تفريط « فائدة » مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام هو الحجر الذي كان يقوم عليه حال بنائه الكعبة وهو حجر مربع اي وفيه اثر قدميه كما اخرجه البخاري اه . كان يعلو عليه ويبني البيت المكرم وكلما طال البناء ارتفع الحجر بنفسه معجزة للخليل صلى الله عليه وسلم فكان له بمنزلة السقالة في عرف البنائين ثم بعد ان اتم بناء الكعبة عليه تركه في الحفرة التي بشرقي الكعبة عند بابها فبقي الى ان جاء سيل في زمن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فجرفه عن محله فخاف عمر ان يذهب به السيل مرة اخرى فيفقدونه مع انه من المعالم الشريفة فأمر بنقله الى قرب زمزم بالمحل الذي هو به الآن المسمى بمقام ابراهيم عليه السلام وبنى سيدنا عمر حوله وعليه واحكم البناء وبقيت تلك الحفرة علامة على محله الاصلي فمن جهل العامة والمطوفين تسميتهم الحفرة المذكورة بالمعجن وهو غلط وصوابه محل مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد سرى هذا الغلط منهم الى مولانا السيد احمد دحلان فذكر تلك الحفرة في سيرته وسماها المعجن كذا في رسالة كشف الزور والبهتان عن صفة بني ساسان للملا عبد القيوم وحاصله امران احدهما ان الحجر الذي كان يقوم عليه سيدنا ابراهيم عليه

الصلاة والسلام عند بنائه الكعبة نقله سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه من مكانه (١) الاصلي الى محله الذي هو به اليوم للسبب المذكور وترك مكانه الاصلي خاليا علامة على ذلك . وثانيهما ان الحفرة التي عند باب الكعبة من الشرق الموجودة الى يومنا هذا لا تسمى بالمعجن وان تسميتها بذلك غلط وانه قد سرى هذا الغلط الى الشيخ الدحلان فمشى عليه في سيرته وان الصواب تسمية تلك الحفرة بمحل مقام ابراهيم عليه السلام ولعمري ان الامر الاول مسلم كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي وغيره (٢) دون الامر الثاني فقد ذكر غير واحد من المحققين كالعلامة القاري في شرح المناسك ان الحفرة المذكورة تسمى معجن الخليل صلى الله عليه وسلم اي لعجنه طينة بناء الكعبة فيها وكان الحجر المذكور عندها قال وانه قد تواتر تسميتها بذلك على ما في العمدة من كتب الحنفية وصح ان جبريل عليه السلام ام النبي صلى الله عليه وسلم فيها اول ما فرضت الصلوات الخمس وحينئذ فلا وجه للتغليط بل الحق ما مشى عليه السيد الدحلان في سيرته فافهم

❊ فصل ❊ واما الامور الاربعة التي تمسك بها الملحدون فهي كغيرها مما يلبسون به على العوام وضعفة لانام مجرد شبه وعبارات مزورة مزخرفة لا تنتج لهم شيئا من مرامهم كما قلناه سابقا

❊ الجواب عن الشبهة الاولى من شبه منكري التوسل ❊

وبيان ذلك ان يقال لهم في الجواب عن الشبهة الاولى اذا كان الامر كما

---

(١) قوله من مكانه الاصلي الى محله الذي هو به اليوم والمسافة بينهما نحو سبعة وعشرين ذراعا واختير هذا المحل لانه كان بيت ابراهيم عليه السلام وكان ينقل ذلك الحجر بعد الفراغ من العمل اليه الى ان تم البناء فتركه عند الكعبة كما ذكره بعض المحققين اه لمؤلفه

(٢) قوله وغيره فقد ذكر ذلك ايضا في فتح الباري واخرجه عبد الرزاق بسند قوي اه لمؤلفه

قلتم وقصدتم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الامة عالمهم وجاهلهم خاصهم وعامهم مع ما في دعواكم المذكورة من اساءة الظن بالمسلمين وما الحامل لكم على منع التوسـل مطلقاً بل كان ينبغي لكم ان تمنعوا العامة من الالفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى فقط بدون مجاوزة هذا الحد بأن تعلموهم طريق الادب في التوسل وتامروهم بسلوكها من باب النصيحة للعامة . مع ان تلك الالفاظ الموهمة يمكن حملها على المجاز من غير احتياج الى تكفير المسلمين او جعلهم كالمشركين وذلك المجاز مجاز عقلي شائع معروف عند اهل العلم ومستعمل في الفاظ كثيرة على السنة جميع المسلمين ووارد في الكتاب المبين وسنة سيد المرسلين صلى الله وسلم عليه وعليهم اجمعين . وعلى المجاز المذكور يحمل ما دل من الكلام على اضافة التأثير للاسباب نحو قول القائل هذا الطعام اشبعني وهذا الماء ارواني وهذا الدواء شفاني وهذا الطبيب نفعني فكل ذلك عند اهل السنة محمول على المجاز العقلي فان الطعام لا يشبع حقيقة بل المشبع حقيقة هو الله تعالى وحده لا شريك له والطعام سبب عادي للشبع فاسناد الشبع له مجاز عقلي والطعام سبب عادي لا تأثير له وهكذا بقية الامثلة فالموحد المسلم متى صدر منه اسناد لغير من هو له يجب حمله على المجاز العقلي والاسلام والتوحيد قرينة على ذلك المجاز كما نص على ذلك علماء المعاني في كتبهم التي ملأت الارض واجمعوا عليه ولا سبيل الى تكفير احد من المؤمنين اذ المجاز العقلي مستعمل في الكتاب والسنة وكلام العرب كما علمت . فمن ذلك قوله تعالى (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً) فاسناد الزيادة الى الآيات مجاز عقلي وهي سبب عادي للزيادة والذي يزيد في الايمان حقيقة هو الله تعالى وحده لا شريك له . وقوله تعالى (يوماً يجعل الولدان شيباً) فاسناد الجعل الى اليوم مجاز عقلي لان اليوم محل لجعلهم

شيئاً فالجعل المذكور واقع في اليوم والجاعل حقيقة هو الله تعالى وحده · وقوله تعالى (ولا يغوث و يعوق ونسراً وقد اضلوا كثيراً) فاسناد الاضلال الى الاصنام مجاز عقلي لانها سبب في حصول الاضلال والهادي والمضل حقيقة هو الله تعالى وحده لا شريك له يهدي من يشاء و يضل من يشاء · وقوله تعالى (واخرجت الارض اثقالها) فاسناد الاخراج الى الارض مجاز عقلي لانها محل للاخراج منها لا مخرجة والمخرج حقيقة هو الله تعالى وحده ولا يختص هذا المجاز بالخبر كما في هذه الآيات بل يكون في الانشاء ايضاً كقوله تعالى حكاية عن فرعون (ياهامان ابن لي صرحاً) فاسناد البناء الى هامان مجاز عقلي لانه سبب آمر فهو يأمر بذلك ولا يبني بنفسه لعدم علمه بالبناء والذي بنى انما هو الفعلة · وفي الاحاديث النبوية من ذلك المجاز العقلي شئ كثير يعرفه من وقف عليه · فمن ذلك الحديث المتقدم بينماهم كذلك استغاثوا بآدم فاغاثة ادم عليه السلام مجازية والمغيث حقيقة هو الله تعالى وحده كما مر · وفي كلام العرب من المجاز العقلي ما لا يحصى كقول بعضهم انبت الربيع البقل فجعلوا الربيع وهو المطر منبتاً والمنبت حقيقة هو الله تعالى فاسناد الانبات الى الربيع مجاز عقلي لانه سبب فيه · فاذا قال العامي من المسلمين انفعنى او اغثني او اجرني او ادركني يا رسول الله مثلاً او قال نفعني النبي صلى الله عليه وسلم او اغاثني او نحو ذلك فانما يريد الاسناد المجازي قطعاً والقرينة على ذلك معنوية وهي حال ذلك القائل اي انه مسلم موحد لا يعتقد التأثير الا لله تعالى وحده فجعلهم ذلك وامثاله من الشرك جهل محض وتلبيس على عوام المسلمين الموحدين · وقد اتفق العلماء كما مر على انه اذا صدر مثل هذا الاسناد من موحد فانه يحمل على المجاز والتوحيد يكفي قرينة لذلك لان الاعتقاد الصحيح هو اعتقاد اهل السنة والجماعة واعتقادهم

ان الخالق للعباد وافعالهم المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده ولا تأثير لاحد سواه لا لحي ولا لميت فهذا الاعتقاد هو التوحيد المحض بخلاف من اعتقد غير هذا فانه هو الذي يقع في الاشراك . واما منع الاستغاثة والتشفع والتوسل مطلقاً فلا وجه له مع ثبوت ذلك في القرآن الشريف والاحاديث الصحيحة وصدوره من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وسلف الامة وخلفها فهؤلاء المنكرون له المانعون منه تارة يجعلونه محرماً وتارة يجعلونه كفراً وشركاً وكل ذلك باطل لانه يؤدي الى اجتماع معظم الامة على ضلالة والعياذ بالله تعالى . ومن تتبع كلام الصحابة وعلماء الامة سلفها وخلفها يجد التوسل والاسناد الى الاسباب صادراً منهم بلا نكير بل ومن كل مؤمن في اوقات كثيرة واجتماع اكثر الامة على محرم او كفر معاذ الله لا يجوز لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح كما سيأتي لا تجتمع امتي على ضلالة . قال بعضهم ان هذا الحديث متواتر وقال الله تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس) فكيف تجتمع كلها او اكثرها على ضلالة وهي خير امة اخرجت للناس . فكان اللائق بهؤلاء المنكرين اذا ارادوا سد الذريعة ومنع الناس من الالفاظ الموهمة لتأثير غير الله تعالى ان يقولوا ينبغي ان يكون التوسل بالادب وبالالفاظ التي ليس فيها ايهام كأن يقول المتوسل اللهم اني اسألك او اتوجه او اتوسل اليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم وبالانبياء قبله وبعبادك الصالحين ان تفعل بي كذا وكذا لا انهم يمنعون من التوسل مطلقاً ولا ان يتجاسروا على تكفير المسلمين الموحدين الذين لا يعتقدون التأثير الا لله وحده . ولله در السيد محمود شكري افندي الالوسي حفيد الملا محمود صاحب التفسير السابق ذكره حيث قال في شرحه على القصيدة الرفاعية عند قول صاحبها

وبعالي عرفانه في المهمات   الى الله ربنا يتوسل

ما نصه وما اشار اليه الناظم من التوسل الى الله تعالى بعالي معارف واسرار سيدي احمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه الالهية مما اتفق المحققون على جوازه واما الافراط الذي ينقل عن الوهابية من عدم اتخاذ وسيلة الى الله تعالى اصلاً فلا يخفى ان ذلك مخالف لنصوص الشريعة الغراء وما ذهب اليه السلف الصالح والتفريط وهو ما ذهب اليه بعض الجهلة من ان التوسل الى الله تعالى جائز بكل شيء حتى بالجماد والحيوان البهم والكفار فهو نوع زيغ عن سبيل الحق وتفصيل الكلام ليس هذا محله اه ويطربني ان انشد هنا بيتي القطب محمد القسطلاني المتوفي سنة ٦٨٦ مع تشطيرهما لشيخي العلامة الشيخ احمد الحلواني المذكور سابقاً وذلك

اذا طاب اصل المرء طابت فروعه ... وان لم يطب فالفرع كالأب والجد
فــلا تلد الحيات الا حيَّة ... ومن عجب جادت يد الشوك بالورد
وقد يخبث الفرع الذي طاب اصله ... كما صار بعض الناس في صفة القرد
ففي العكس مثل الطرد بان تخالف ... ليظهر سر الله في العكس والطرد

والحاصل ان مذهب اهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته وكذا بغيره من الانبياء والملائكة والمرسلين صلوات الله تعالى وسلامه عليهم اجمعين وكذا بالاولياء والشهداء والصالحين احياء وميتين كما دلت عليه النصوص السابقة ودرج عليه السلف والخلف من المسلمين قبل ظهور المبتدعين المنكرين لانا معشر اهل السنة لا نعتقد تأثيراً ولا خلقاً ولا ايجاداً ولا اعداماً ولا نفعاً ولا ضرًّا الا لله تعالى وحده لا شريك له ولا نعتقد تأثيراً ولا نفعاً ولا ضرًّا للنبي صلى الله عليه وسلم ولا لغيره من الاحياء والاموات ولا نعظمهم بمثل ما كانت عليه المشركون اصلاً فلا فرق في التوسل

بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الذوات الفاضلة المذكورة بين كونهم احياء واموات لانهم لا يخلقون شيئاً وليس لهم تأثير في شيء وانما يتبرك بهم لكونهم احباء الله تعالى واما الخلق والايجاد والاعدام والنفع والضر فانه لله تعالى وحده واما هؤلاء الجهلة الذين فرقوا بين الاحياء والاموات وقالوا ان الحي يقدر على بعض الاشياء دون الميت وانه اذا نودي الحي وطلب منه ما يقدر عليه وهو الاشياء العادية فلا ضرر فيه بخلاف الميت فانه لعدم قدرته على شيء اصلاً لا يجوز نداؤه ولا طلب شيء منه . فهم بذلك الكلام يتوهم منهم انهم يعتقدون ان العبد يخلق افعال نفسه فينسبون التأثير للاحياء دون الاموات وقد تقرر قديماً وحديثاً ان هذا مذهب باطل ونحن اهل السنة نقول ونعتقد ان الحي لا يقدر على ايجاد شيء اصلاً كما ان الميت كذلك لا يقدر والقادر حقيقة هو الله تعالى والعبد ليس له الا الكسب الظاهري المعلوم باعتبار الحي والكسب الباطني باعتبار التبرك بذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الاخيار او تشفعهم وتسببهم في ذلك الشيء والخالق للعباد وافعالهم هو الله تعالى وحده لا شريك له قال الله تعالى (الله خالق كل شيء) (والله خلقكم وما تعملون) وقد يكرم الله تعالى المتقين من عباده بخرق العادة لهم او لاجلهم ان شاء لانه الفاعل المختار كما دل على ذلك نصوص الشريعة والوجود والمشاهدة وسنبسط الكلام في ذلك قريباً ان شاء الله تعالى . وفي شرح كبرى الامام السنوسي ما محصله : زعمت المعتزلة مجوس هذه الامة بنص الحديث ان الذي ينفذ تعلقه و يؤثر في الفعل الاختياري انما هو ارادة وقدرة العبد الضعيف الحقير الحادثتان قال وهذا قول شنيع باثبات شريك الله سبحانه وتعالى في الافعال ووصف له بنقيصة العجز وغلبة العبد الضعيف عليه و يرد عليهم بقوله تعالى (انا كل شيء خلقناه بقدر) وقوله (والله

خالقكم وما تعملون) الى غير ذلك من الظواهر التي لا تنحصر وقد تقرر ان الظواهر اي الادلة الدالة على شيء بحسب ظواهرها وليست نصا فيه اذا كثرت في الدلالة على شيء افادت القطع به انتهى فهؤلاء الحقيق الفارقون بين الاحياء والاموات فيما ذكروا هم المعتقدون تأثير غير الله تعالى وهم الذين دخل الشرك في توحيدهم لكونهم اعتقدوا تأثيرا للاحياء دون الاموات فكيف يدعون مع هذا انهم محافظون على التوحيد و ينسبون غيرهم الى الاشراك (سبحانك هذا بهتان عظيم) . فالتوسل والتشفع والسؤال والاستغاثة والتوجه كلها بمعنى واحد كما عرف مما مرّ ونص عليه العلامة المحقق وغيره من الائمة وليس لها في قلوب المؤمنين معنى الا التبرك بذكر احباء الله تعالى لما ثبت ان الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا احياء أم امواتا فالمؤثر والموجد حقيقة هو الله تعالى وذكر هؤلاء الاخيار سبب عادي في ذلك التأثير وذلك مثل الكسب العادي فانه لا تاثير له . قال سيدي عبد الغني النابلسي في شرح الطريقة المحمدية . واعلم ان التوسل الى الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم و باصحابه والتابعين عليهم رضوان الله تعالى اجمعين امر جائز مشروع وهو نوع من الشفاعة وهي حق عند اهل السنة خلافا للمعتزلة كما سبق تقريره فاذا قضيت حاجة من توسل الى الله تعالى باحد المذكورين كان ذلك كرامة لمن كان به التوسل فهي كرامة بعد الموت خلافا لمن ينكر ذلك من جهلة المبتدعة كما قدمناه اه بحروفه

الكلام في حياة الانبياء في قبورهم

وقد ثبت عند اهل السنة ايضا حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بادلة كثيرة تكذب اولئك الحمقى في دعواهم السابقة . منها حديث مررت على موسى ليلة اسري بي يصلي في قبره . ومثله مررت على ابراهيم فامرني بتبليغ امتي

السلام وان اخبرهم ان الجنة طيبة التربة وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ٠ ومثل حديث اجتماعهم لما صلى بهم في بيت المقدس ليلة الاسراء ثم تلقوه في السموات ٠٠ وحديث تردد النبي صلى الله عليه وسلم بين موسى عليه السلام ومقام مكالمة ربه لما فرض عليه خمسين صلاة فامره موسى بالمراجعة ٠ وحديث ان الانبياء احياء في قبورهم يحجون و يلبون ٠٠ وفي كتاب الاعلام باحكام عيسى عليه السلام للحافظ السيوطي اخرج ابو يعلى في مسنده عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده لينزلن عيسى بن مريم ثم لئن قام على قبري ثم قال يا محمد لأجيبنه واخرج ابن عساكر عنه ايضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليهبطن عيسى بن مريم حكماً عدلا واماما مقسطاً وليقفن على قبري فليسلمن عليّ ولأردن عليه انتهى وكل هذه الاحاديث صحيحة لامطعن فيها لطاعن ٠ وايضاً فقد ثبتت حياة الشهداء بنص قوله تعالى (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون) اي لا ترونهم احياء فتعلمون ذلك حقيقة وانما تعلمونه باخباري اياكم به وقوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين) الخ والانبياء افضـل من الشهداء قطعاً فالحياة لهم ثابتة بالاولى ٠ ثم ان الحياة الثابتة للانبياء عليهم الصلاة والسلام وللشهداء الكرام ليست مثل الحياة الدنيوية من كل وجه بل هي حياة تشبه حال الملائكة ولا يعلم صفتها وحقيقتها الا الله تعالى فيجب علينا الايمان بثبوتها من غير بحث عن كيفيتها وحقيقتها واذا كان الامر كذلك فلا ينافي ان كلا منهم قد مات وانتقل من الحياة الدنيوية بمعنى انه زالت عنه الحياة الـتي كانت في دار الدنيا وثبتت له حياة اخرى فلا اشكال في قوله تعالى (انك ميت

وانهم ميتون) . ونقل السيوطي في شفاء الصدور عن البيهقي انه قال دافعاً التنافي بين حديث الامر بتحسين اكفان الموتى وقول ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في الكفن انما هو للمهنة اي الامتهان يعني الصديد انه كذلك في روئيتنا و يكون كما شاء الله في علم الله تعالى كما قال تعالى في الشهداء (احياء عند ربهم يرزقون) وهم كما تراهم يتشحطون في الدماء ثم يتفسخون فانما يكونون كذلك في روئيتنا و يكونون في الغيبة كما اخبر الله تعالى عنهم ولو كانوا في روئيتنا كما اخبر الله تعالى عنهم لارتفع الايمان بالغيب مع ثبوته بالنص الصريح القرآني اه فان قلت ان ابن عطية ذهب الى ان حياة الشهداء بالارواح فقط حيث قال ولا خفاء في موتهم وان اجسامهم في التراب وارواحهم كارواح سائر المؤمنين وانما فضلوا على غيرهم بالرزق في الجنة من وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم فهم احياء من هذه الجهة وان كانوا امواتاً من جهة خروج الروح من اجسامهم وصيرورتها في التراب . قلت هو مردود بأن المتصف بالحياة اجساد الشهداء وان حياتهم حقيقة كما هو ظاهر الآيات الشريفة القرآنية وعليه جمهور الامة المحمدية والالم تكن هناك فائدة لتخصيصهم بالذكر لكن حياتهم ليست كحياتهم في الدنيا . قال العلامة الشيخ علي العدوي في حواشيه على شرح ابي الحسن بعد كلام في الشهداء . والحاصل ان تلك الحياة لا تمنع من اطلاق اسم الميت عليهم بل هي حياة غير معقولة للبشر وقال ابن عادل و يحتمل ان حياتهم بالجسد وان لم تشاهد وايده بان حياة الروح ثابتة لجميع الاموات بالاتفاق فلو لم تكن حياة الشهيد بالجسد لاستوى هو وغيره ولم يكن له مزية اه والكلام على ذلك مبسوط في المطولات فلا حاجة لنا الى زيادة التطويل بذكره بل في الذي ذكر كفاية لمن عنده ادنى دراية والله الموفق . وفي المواهب القسطلانية و يجب الادب معه

صلى الله عليه وسلم كما في حياته اذ هو حي في قبره يصلي فيه تلذذا لا تكليفا
باذان واقامة كما مر في الخصائص · وروى البخاري في الصلاة ان عمر رضي الله
تعالى عنه قال لرجلين من اهل الطائف لو كنتما من اهل البلد اي المدينة
الشريفة لا وجعتكما ضربا ترفعان اصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم · وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه قال لا ينبغي رفع
الصوت على نبي حياً ولا ميتاً فوق ما يسارّ به الانسان صاحبه · وروي عن عائشة
رضي الله تعالى عنها انها كانت تسمع صوت الوتد يدق والمسمار يضرب في بعض
الدور المحيطة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فترسل اليهم لا تؤذوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بدق الوتد وضرب المسمار · قالوا وما عمل علي بن ابي طالب كرم
الله تعالى وجهه مصراعي داره الا خارج المدينة توقيا لذلك لئلا يتأذى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسماع صوت الخشب عند صنعه لو صنعه في بيته او
خارج المسجد بقرب به نقله محمد بن الحسن المعروف بابن زبالة اه كلام القسطلاني ·
وثبت ان امير المؤمنين المنصور · لما ناظر مالكا في المسجد النبوي قال له يا امير
المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد النبوي فان الله تعالى ادب قوماً فقال
تعالى (لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي) الآية ومدح قوماً فقال تعالى (ان
الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله) الآية · وذم قوماً فقال تعالى (ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات) الآية وان حرمته ميتاً كحرمته حيا فاستكان لذلك
المنصور · فانظر يا اخي هذا الادب العظيم من الامام مالك والمنصور رحمهما
الله تعالى

﴿ الكلام في تصرف الانبياء والاولياء بعد الموت وغير ذلك ﴾

واما قول المنكرين للتوسل ان الميت لا يقدر على شيء اصلا الى آخر

ما زعموه مما تقدم فيقصدون به انكار كرامات الاولياء وما ثبت من تصرفهم كالانبياء والشهداء بعد موتهم لعدم الكرامة فيما بينهم وذلك من اذل دليل على انهم اهل بدعة كالمعتزلة المنكرين لها كما بسطه الشعراني في مبحث المعجزات من اليواقيت والجواهر ويريدون به ايضا القدح في المسلمين واساءة الظن بهم الى غير ذلك مما انطوت عليه ضمائرهم الخبيثة لانهم ليسوا من اهل الكرامة

سؤال رفع للامام الشوبري في الاولياء وكراماتهم الخ

وقد سئل العلامة الشوبري رحمه الله تعالى عن نحو ذلك بما صورته: ما قولكم رضي الله تعالى عنكم في الاولياء هل لهم وجود وهل كراماتهم ثابتة وهل تصرفهم ينقطع بالموت وهل يمتنع ان يقال لسيدي احمد البدوي واضرابه انهم اولياء الله تعالى ام يجوز ذلك وهل يجوز التوسل بهم الى الله تعالى وهل الولي اذا مات يحكم ببقاء ولايته ام لا لاحتمال موته على غير الاسلام والعياذ بالله تعالى وهل ثبت ان ما كان معجزة لنبي كان كرامة لولي واذا حلف شخص ان سيدي احمد البدوي واضرابه من الاولياء يحنث ام لا وماذا يترتب على من منع جميع ما ذكر افيدونا الجواب اثابكم الله تعالى الجنة . فاجاب رحمه الله بقوله نعم اولياء الله تعالى وهم العارفون به سبحانه وتعالى حسبما يمكن المواظبون على الطاعات المجتنبون للمعاصي المعرضون عن الانهماك في اللذات والشهوات موجودون لعموم قوله صلى الله عليه وسلم لاتزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ولما ياتي وكراماتهم ثابتة وتصرفهم باق لاينقطع بالموت ويجوز ان يقال لسيدي احمد البدوي واضرابه انهم اولياء الله تعالى لما شاع وذاع وملأ الاسماع من الاخبار عنهم بذلك ولا تجتمع الامة على ضلالة ابدا ويجوز التوسل بهم الى الله تعالى والاستغاثة بالانبياء والمرسلين والعلماء والصالحين بعد

موتهم لان معجزات الانبياء وكرامات الاولياء لا فارق بينهما الا التحدي اما والانبياء فلانهم احياء في قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الاخبار الصحيحة فتكون الاغاثة بهم معجزة لهم والشهداء احياء أيضا عند ربهم بالنص القرآني وشوهدوا جهارا يقاتلون الكفار واما الاولياء فهي كرامة لهم فان اهل الحق على انه يقع للاولياء بقصد وبغير قصد امور خارقة للعادة يجريها الله تعالى بسببهم والدليل على جوازها انها امور ممكنة لا يلزم من جوازها ووقوعها محال اصلا وكل ما هذا شأنه فهو ممكن الوقوع (١) وعليه قصة مريم في رزقها من عند الله تعالى وقصة الذي عنده علم من الكتاب مع سليمان على ما نطق بذلك التنزيل وقصة ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مع اضيافه كما في الصحيح وجريان النيل بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ورؤيته وهو على المنبر بالمدينة جيشه بنهاوند حتى قال لامير الجيش ياسارية الجبل الجبل محذرا له من وراء الجبل لكمون العدو هناك وسماع سارية كلامه وبينهما مسافة شهرين وشرب خالد رضي الله تعالى عنه السم من غير تضرر به (٢) كما صح في الآثار وامتلأت به التواريخ وقد جرت خوارق على ايدي الصحابة والتابعين ومن بعدهم لا يمكن انكارها لتواتر مجموعها . قال وقد سئل (٣) بعض الائمة عمن قال ان من كرامات الولي ان يقول للشيء كن فيكون فنهي عن ذلك فقال من انكر ذلك فعقيدته فاسدة فهل ما ادعاه صحيح ام باطل فاجاب بان ما قاله صحيح اذ الكرامة الامر الخارق للعادة يظهره الله تعالى على يد وليه وقد قال الائمة ما جاز ان يكون معجزة لنبي جاز ان يكون

---

(١) قوله وعليه اي على الوقوع اه

(٢) قوله انظر هذه القصة في المولد الذي اختصرته من الموكب العاشر للشيخ احمد الحلواني الخليجي (اه) لمؤلفه

(٣) قوله بعض الائمة هو الشيخ الرملي كما سيأتي عن فتواه للمصنف اه

ما زعموه مما تقدم فيقصدون به انكار كرامات الاولياء وما ثبت من تصرفهم كالانبياء والشهداء بعد موتهم لعدم الكرامة فيما بينهم وذلك من ادل دليل على انهم اهل بدعة كالمعتزلة المنكرين لها كما بسطه الشعراني في مبحث المعجزات من اليواقيت والجواهر ويريدون به ايضا القدح في المسلمين واساءة الظن بهم الى غير ذلك مما انطوت عليه ضمائرهم الخبيثة لانهم ليسوا من اهل الكرامة

سؤال رفع للامام الشوبري في الاولياء وكراماتهم الخ

وقد سئل العلامة الشوبري رحمه الله تعالى عن نحو ذلك بما صورته : ما قولكم رضي الله تعالى عنكم في الاولياء هل لهم وجود وهل كراماتهم ثابتة وهل تصرفهم ينقطع بالموت وهل يمتنع ان يقال لسيدي احمد البدوي واضرابه انهم اولياء الله تعالى ام يجوز ذلك وهل يجوز التوسل بهم الى الله تعالى وهل الولي اذا مات يحكم ببقاء ولايته ام لا لاحتمال موته على غير الاسلام والعياذ بالله تعالى وهل ثبت ان ما كان معجزة لنبي كان كرامة لولي واذا حلف شخص ان سيدي احمد البدوي واضرابه من الاولياء يحنث ام لا وماذا يترتب على من منع جميع ما ذكر افيدونا الجواب اثابكم الله تعالى الجنة . فاجاب رحمه الله بقوله نعم اولياء الله تعالى وهم العارفون به سبحانه وتعالى حسبما يمكن المواظبون على الطاعات المجتنبون للمعاصي المعرضون عن الانهماك في اللذات والشهوات موجودون لعموم قوله صلى الله عليه وسلم لاتزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ولما ياتي وكراماتهم ثابتة وتصرفهم باق لاينقطع بالموت ويجوز ان يقال لسيدي احمد البدوي واضرابه أنهم اولياء الله تعالى لما شاع وذاع وملأ الاسماع من الاخبار عنهم بذلك ولا تجتمع الامة على ضلالة أبدا ويجوز التوسل بهم الى الله تعالى والاستغاثة بالانبياء والمرسلين والعلماء والصالحين بعد

موتهم لان معجزات الانبياء وكرامات الاولياء لا فارق بينهما الا التحدي اما والانبياء فلانهم احياء في قبورهم يصلون ويحجون كما وردت به الاخبار الصحيحة فتكون الاغاثة بهم معجزة لهم والشهداء احياء أيضا عند ربهم بالنص القرآني وشوهدوا جهارا يقاتلون الكفار واما الاولياء فهي كرامة لهم فان اهل الحق على انه يقع للاولياء بقصد وبغير قصد امور خارقة للعادة يجريها الله تعالى بسببهم والدليل على جوازها انها امور ممكنة لا يلزم من جوازها ووقوعها محال اصلا وكل ما هذا شأنه فهو ممكن الوقوع (١) وعليه قصة مريم في رزقها من عند الله تعالى وقصة الذي عنده علم من الكتاب مع سليمان على ما نطق بذلك التنزيل وقصة ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه مع اضيافه كما في الصحيح وجريان النيل بكتاب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ورؤيته وهو على المنبر بالمدينة جيشه بنهاوند حتى قال لامير الجيش ياسارية الجبل الجبل محذرا له من وراء الجبل لكمون العدو هناك وسماع سارية كلامه وبينهما مسافة شهرين وشرب خالد رضي الله تعالى عنه السم من غير تضرر به (٢) كما صح في الآثار وامتلأت به التواريخ وقد جرت خوارق على ايدي الصحابة والتابعين ومن بعدهم لا يمكن انكارها لتواتر مجموعها .قال وقد سئل (٣) بعض الائمة عمن قال ان من كرامات الولي ان يقول للشئ كن فيكون فنهي عن ذلك فقال من انكر ذلك فعقيدته فاسدة فهل ما ادعاه صحيح ام باطل فاجاب بان ما قاله صحيح اذ الكرامة الامر الخارق للعادة يظهره الله تعالى على يد وليه وقد قال الائمة ما جاز ان يكون معجزة لنبي جاز ان يكون

(١) قوله وعليه اي على الوقوع اه

(٢) قوله انظر هذه القصة في المولد الذي اختصرته من الموكب العاشر لشيخي احمد الحلواني الخليجي (اه) لمؤلفه

(٣) قوله بعض الائمة هو الشيخ الرملي كما سيأتي عن فتواه للمصنف اه

كرامة لولي لا فارق بينهما الا التحدي فرجع الكرامة الى قدرة الله تعالى نعم ان اراد استقلال الولي بذلك من دون الله تعالى فهو كافر اه وقال شيخنا الرملي وهذه الاشياء يعني الكرامات مشاهدة لا يمكن انكارها فالذي نعتقده ثبوت كراماتهم في حياتهم وبعد وفاتهم ولا تنقطع بموتهم ويخشى على جاحد ذلك المقت والعياذ بالله تعالى اه ثم قال العلامة الشوبري ولا تنقطع ولاية الولي بموته لما علم مما تقدم ولا يظن بمسلم فضلا عن ولي الله تعالى هذا الظن الفاسد اي لانه احتمال كاسد فلا يلتفت اليه ولا يعول عاقل عليه لما ستعرفه اه . وقال شيخ الاسلام السجاعي في رسالته التي الفها في اثبات كرامات الاولياء واما قول المبتدعين في حق الاولياء والصالحين من اين لنا انهم ماتوا على الاسلام فهو قول خبيث يجر لقائله الوبال والوقوع في مهاوي البهتان والضلال اذ ذاك يجره الى الشك في نفي الصحبة عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول هذا الخبيث من اين علمتم انهم ماتوا على الاسلام فان اقر بموجب هذه المقالة قلنا له ياخاسر الدين ياعدو خاصة المسلمين هم نجوم الاسلام ومصابيحه بشهادة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فقد الزمت نفسك الشك في بقائهم على اكمل الحالات بعد الموت فحرمت بركة انوارهم واسرارهم وفاتك من الخيرات اعظم فوت . وان قال كلامي في غير هذه العصابة المرضية . قلنا له اي فرق وهم سادات الاولياء واعاظمهم بغير مرية بل ربما جره الى الكفر والعياذ بالله تعالى بان يصرح في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام بتلك العبارة الشنيعة فما اقبح ذلك الخبيث واقل حياؤه وهو لو قيل له لا نصلي عليك بعد موتك ولا ندفنك في مقابر المسلمين لتقطع غيظاً وادّ تشاط غضباً وامتلأ سما من ذلك الكلام وكيف يصلي على من لا يدري هل من مات مات على الكفر او على الايمان وهو مقر بذلك

على غيره افلا يسلم ذلك في نفسه وهو يزعمه من اهل الايقان فان لم يرض بذلك لنفسه فكيف يتجارى على من غمر برضاء الله تعالى في رمسه اه قلت ولكل من خالقة الخير وضدها علامات جاءت بها الشريعة المطهرة وهي الاعمال الصالحة وضدها ففي شرح الكبرى للامام السنوسي ما نصه : الافعال الاختيارية علامات شرعية على الثواب والعقاب يخلق الله تعالى منها في كل مكلف ما يدل شرعاً على ما اراده الله تعالى به في عقباه من الثواب او العقاب فكل من المكلفين ميسر لما خلق له (ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة) والعلامة لا يلزم من عدمها العدم . وقد ورد الشرع باطلاق السبب على الافعال الاختيارية للثواب او العقاب والمراد به الامارة لا ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم ولا مشاحة في الاصطلاح ولا في الالفاظ اللغوية اذا فهمت المعاني المقصودة منها اه . قال الله تعالى (فامامن اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل) الى آخر الآية . وقال جل شأنه (اعطى كل شيءٍ خلقه ثم هدى) وقال سبحانه (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقال ايضاً (ان الذين آمنو وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً) . وقال ايضاً (ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر) . وقال ايضاً (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين) . وقال ايضاً (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها و يكفر عنهم سيآتهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً) . وقال ايضاً (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) . وقال ايضاً (ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثي وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة) وامثال ذلك كثير

وقال صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري وغيره اعملوا فكل ميسر لما خلق له اي مهيأ له اما اهل السعادة فييسرون لعمل اهل السعادة واما اهل الشقاوة فييسرون لعمل اهل الشقاوة . وفي رواية للبخاري ايضاً اما من كان من اهل السعادة فييسر لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاء فييسر لعمل اهل الشقاوة . وقال عليه الصلاة والسلام ايضاً فيما رواه البخاري ومسلم ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع واحد فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخل النار وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار الى آخر الحديث . فتأمل قوله فيسبق عليه الكتاب فيعمل ولم يقل فيسبق عليه الكتاب فيدخل ونظايره في السنة كثير

ومن المتفق عليه ان الوعد الوارد في الكتاب والسنة واجب شرعاً لا يتخلف شرعاً قطعاً لقوله تعالى (وعد الله لا يخلف الله وعده) . (ان الله لا يخلف الميعاد) اي الوعد فلو تخلف اعطاء الموعود به لزم الكذب . والسفه . والخلف واللازم باطل فكذا الملزوم فالخلف في الوعد كذب والكذب منتف في كلامه تعالى انتفاء معلوماً بالضرورة من الدين كما قال حسن جلبي على المواقف وغيره واما الوعيد فيجوز الخلف فيه عند الاشاعرة لانه يعد كرماً يتمدح به و يحمل الوعيد حينئذ على التهديد لا التحقيق وفي الحديث من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجز له ومن اوعده على عمل عقاباً فهو بالخيار ان شاء عذبه وان شاء غفر له و بسط الكلام على هذا في كتب العقائد ولكننا ادباً مع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لا نقطع لاحد بالجنة على التعيين الا لمن ثبت فيه نص كالعشرة واشباههم (١)

(١) قوله واشباههم اي كالسيدة فاطمة الزهراء وابنيها من علي سيدنا الحسن والحسين وكالسيدة خديجة وغيرهم ممن بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اه لمؤلفه غفر له

وهذا مجمع عليه عند اهل السنة كما صرح به الامام النووي في شرحه لصحيح مسلم وغيره لانا لو قطعنا لاحد بعينه سوى من جاء فيه النص يكون فيه تحكم على الله وتجاسر على المعصوم في الاخبار بالغيب وقد نهينا عن ذلك واذا لم نقطع لاجل ذلك يكون غالب ظننا لكل صالح ولو معيناً واكبر رجائنا في اهل الصلاح والخير ذلك لانه قد عاش ومات على هدى والاصل بقاء ما كان على ما كان ولا يثبت خلاف الاصل الا بيقين (والله لا يضيع اجر المحسنين) وخرج بقولنا على التعيين القطع لكل مسلم لا بعينه فان ذلك جائز من غير شبهة كما قاله غير واحد كسيدي عبد الغني النابلسي رضي الله تعالى عنه في شرحه للطريقة المحمدية قلت وقد يغلط في هذه المسئلة كثير من الناس بسبب الجهل باسرار الشريعة وسوء ظنهم بالمسلمين ولا سيما الاكابر منهم فنعوذ بالله العظيم من ذلك . قال العلامة الشيخ محمد ابو خضير الضمياطي ثم المدني في حواشيه على مجموعه المسمى نهاية الامل فان قلت من لم يبشر بالجنة هل يجوز تبشيره بها ام لا . فالجواب يجوز باعتبار ما ظهر عليه من الايمان والاعمال الصالحة من غير جزم بأنه في علم الله تعالى من اهل الجنة وان كان الواجب جزمه بالايمان دائماً ثم قال ولا يجوز القطع لمعين بجنة او نار الا بنص من الشارع فالاول كالمبشرين بالجنة والثاني كابي جهل وابليس لعنهما الله تعالى فان الاول قد نص الشارع على موته كافراً وان الثاني سيموت كذلك فهما من اهل النار جزماً ثم قال وهذا في حال الحياة اما بعد الموت على الاسلام او الكفر في الظاهر فنحكم له بالجنة او النار بحسب الظاهر ولا يجوز الهجوم على خلافه فلا يجوز ان يقال بأي وجه علمنا موت سيدي احمد البدوي مثلاً على الايمان . وروى الشيخان عن ابي ذر مرفوعاً اتاني جبريل فبشرني ان من مات من امتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت يا جبريل

وان زنى وان سرق قال نعم وان زنى وان سرق قلت وان زنى وان سرق قال نعم . قلت وان زنى وان سرق قال نعم وان شرب الخمر واشار بالزنا وشرب الخمر الى حق الله تعالى و بالسرقة الى حق الخلق يعني وان فعل كبيرة غير الكفر وانما اقتصر على هذه الثلاثة مع ان القتل اشد منها لاكثرية وقوعها اه ببعض اختصار . وفي شرح الاحياء للسيد مرتضى الزبيدي رحمه الله تعالى ما نصه : ومن علامات خاتمة الخير . ما رواه الترمذي والحاكم من حديث انس رضي الله تعالى عنه اذا اراد الله بعبد خيراً استعمله قيل كيف يستعمله قال يوفقه لعمل صالح قبل الموت . وروى احمد والحاكم من حديث عمرو بن الحمق اذا احب الله عبداً عسله قالوا وما عسله قال يوفق له عملاً صالحاً بين يدي اجله حتى يرضى عنه جيرانه . وروى ابن ابي الدنيا من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها اذا اراد الله بعبد خيراً بعث اليه قبل موته بعام ملكاً يسدده و يوفقه حتى يموت على خير احايينه فيقول الناس مات فلان على خير احايينه فاذا حضر ورأى ما اعد له جعل يتهوع نفسه من الحرص على ان تخرج فهناك احب لقاء الله واحب الله لقاءه واذا اراد الله بعبد شراً قيض له قبل موته بعام شيطان يضله و يغويه حتى يموت على شر احايينه فيقول الناس قد مات فلان على شر احايينه فاذا حضر ورأى ما اعد له جعل يتبلع نفسه كراهية ان تخرج فهناك كره لقاء الله وكره الله لقاءه . قال ابن ابي هبيرة في الافصاح في معنى هذا الحديث اعلم ان خروج الروح عند دعاء ملك الموت لها من جنس دعاء الحاوي بالحية من جحرها وخروج الجسمين عند الدعاء على حد سواء فاما المؤمن فيتهوع نفسه اي يستدعي اخراجها اذ التهوع انما هو استدعاء القيء للبروز واما الكافر فيتبلع روحه والتبلع رد الجسم الذي في الفم فهو يريد الخروج الى الجوف اه وقال

بعض العلماء الاسباب المقتضية لسوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى اربعة التهاون بالصلاة وشرب الخمر وعقوق الوالدين وأذى المسلمين اه ما في شرح الاحياء . وزاد بعضهم على هذه الاربعة خامساً ونظم الكل في بيتين وزاد عليها شيخي العلامة احمد الحلواني السابق ذكره ما ذيل به البيتين وها هو معهما كما في كتابه الوسم في الوشم

يخشى على ايمان من تكلما (١) حال الأذان او اساء مسلماً
او عق اصلاً او تعاطى الخمرا او في صلاته استخف الامرا
او بتشبه بذيِ الكفر اعتنى أو بالريا أو الربا أو الزنا
أو وطئ الحائض او في الدبر أو اعلن الفسق ولم يستتر
او صدق الكاهن او منجماً او نحوه كطارق الحصى افهما
او لازم البدعة في حياته او امن السلب لدي مماته

(١) قوله من تكلم حال الاذان اي سوى اجابة المؤذن وظاهره ولو نحو قراءة وربما يؤيده قول النووي في شرح مسلم لو سمع الاذان وهو في قراءة او تسبيح او نحوهما قطع ما هو فيه واتي بمتابعة المؤذن اه . وقال في التبيان ثم بعد المتابعة يعود الى قراءته وهذا متفق عليه عند اصحابنا . وقالت الحنيفة و يجيبه من سمع المؤذن ولو جنباً الا حائضاً ونفسا وسامع خطبة ومن في صلاة ولو جنازة وجماع و بيت خلاء واكل وتعليم علم شرعي وتعلمه بخلاف قرآن لانه لا يفوت بالاجابة بخلاف التعلم فعلى هذا لو يقرأ تعليماً او تعلماً لا يقطع كما قاله السائحاني اه . وهاهنا فائدة شريفة نقلتها من طبقات السبكي اذ قال نقل الشيخ فرج الاردبيلي عن كتاب الرافعي انه قال خطر بي ان من سمع المؤذن واجابه وصلى في جماعة ثم سمع مؤذناً ثانياً لا يجيبه لانه غير مدعو بهذا الاذان . قال ابن السبكي وهذا بحث صحيح وماخذ حسن قال ومنه يؤخذ انه لو لم يصل استحبت له الاجابة لانه مدعو به قال وهذا الماخذ احسن من تخريج المسالة على ان الامر هل يقتضي التكرار اه . من خط شيخي الحلواني الخليجي رضى الله تعالى عنه اه لمؤلفه غفر له

او نافق الناس بحيث خانا واخلف الوعد رضى ومانا
او استطاع الحج ثم فاتا بغير عذره الى ان ماتا
او انكر الكشف ولم يسلم او اكثر اغتياب ايّ مسلم
او كان مولعاً بدنياه فلم يقبل على الاخرى و يرى الالم
او ضعف الايمان منه او اكب على معاصيه ليوم المنقلب
نعوذ من جميعها ياربي بوجهك الكريم فهو حسبي
وبالحبيب المصطفى ازكى الانام عليه افضل الصلاة والسلام

وفي حواشي العلامة القليوبي على الجلال ان من حلف انه من اهل الجنة وكان مسلماً لا يحنث قال نظراً لظاهر النصوص فان كان كافراً حنث لذلك وان مات المسلم مرتداً او الكافر مسلماً تبين الحنث في الاول وعدمه في الثاني اه . ثم قال الشوبري في جواب السؤال السابق ومن حلف ان سيدي احمد البدوي او غيره ممن اشتهر بالولاية والصلاح انه ولي الله تعالى فهو بار في يمينه غير حانث لبناء حلفه على هذا الامر الظاهر و يترتب على مانع جميع ذلك التمزير اللائق بحاله الرادع له ولامثاله عن الخوض في هذه المسالك وتهوره بمثل ذلك ولا حول ولا قوة الا بالله الكبير المتعال اه كلامه . وفي الخيرات الحسان للعلامة المحقق ما نصه : الرابع يعني من الاسباب الحاملة له على تأليف الكتاب المذكور تبيين ان الامام ابا حنيفة رحمه الله تعالى كسائر أئمة المسلمين ممن صدق عليهم قوله تعالى (الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) . ووجه ذلك الصدق ان كلاً من اولئك الائمة المجتهدين والعلماء العاملين صحت عنه كمالاتٌ باهرةٌ للعقول واحوال وكرامات لا ينكرها الا المعاند الجهول فهم الاولياء على الحقيقة

والجامعون بين الحقيقة والشريعة · واذ قد تمهد ذلك فمنتقص احدهم ممن حقت عليه كلمة الطرد والمقت كيف وهو قد ادخل نفسه فيما لا طاقة له به من محاربة الله تعالى ورسوله ومن حارب الله هلك هلاكاً ابدياً نعوذ بالله من ذلك والدليل على هذا ما رواه الائمة البخاري وغيره من طرق كثيرة تزيد على خمسة عشر طريقاً عن جماعة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى قال من عادى أو اذلّ أو اذى أو اهان روايات لي ولياً وفي رواية وليّ المؤمنين فقد اذنته اي اعلمته بالحرب · وفي رواية فقد استحل محاربتي وفي اخرى فقد بارزني بالمحاربة · وقوله لي ظرف لغو و يجوز ان يكون مستقراً لانه حالٌ قدمت على صاحبها لتنكيره والمحاربة فيه من باب (يخادعون الله) وعاقبت اللص وحكمة ايثاره المخاطبة بما يفهم اذ الحرب ينشأ عن العداوة الناشئة عن المخالفة وغايتها اللازمة لها الهلاك اي من كره من احببته عاداني وعاندني ومن عاندني فقد تعرض لاهلاكي اياه اشد الهلاك واقطعه فاطلق الحرب واريد لازمها · واذ قد علمت هذا علمت ان فيه من الوعيد الشديد والزجر الاكيد والمنع البالغ ما يحمل من له ادنى مسكة من عقل فضلاً عن دين على ان يجتنب الخوض في شيءٍ مما ينتقص به احداً من أئمة الاسلام ومصابيح الظلام وان يبالغ في البعد عن ايذائهم بوجه من الوجوه فانه يؤذي الاموات ما يؤذي الاحياء وكيف يسع احداً ان يقدم على شيءٍ من ذلك والله تعالى يقول اني لأغضب لاوليائي كما يغضب الليث للحرد وفي رواية عند الامام احمد رحمه الله تعالى عن وهب بن منبه قال قال الله عز وجل لموسى عليه السلام حين كلمه ربه جل وعلا اعلم ان من اهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة وناداني وعرض نفسه ودعاني اليها وانا أسرع شيءٍ الى نصرة اوليائي افيظن الذي يحاربني ان يقاومني

او يظن الذي يبارزني ان يعجزني او يسبقني او يفوتني كيف وانا ثائر لهم في الدنيا والآخرة فلا أكل نصرتهم الى غيري . فتأمل ثم تأمل واحذر ان تخوض غمرة هذه اللجة المهلكة فان الله تعالى لا يبالي بك في أي واد هلكت ومن ثمة قال الحافظ ابو القاسم ابن عساكر في كتابه تبيين كذب المفتري فيما نسب للامام ابي الحسن الاشعري لحوم العلماء مسمومة وهتك استار منتقصيهم معلومة وقال ايضاً لحوم العلماء سم من شمها مرض ومن ذاقها مات قال وقد جمع العلماء فضائلهم واعتنوا بسيرهم واخبارهم فمن قرأ فضائل ابي حنيفة ومالك والشافعي رحمهم الله تعالى بعد فضائل الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين واعتنى بها ووقف على كريم سيرهم وهديهم كان ذلك له عملاً زاكياً نفعنا الله تعالى بحب جميعهم ومن لم يحفظ من اخبارهم الا ما يذكر من قول بعضهم في بعض على الحسد والهفوات والغضب حرم التوفيق ودخل في الغيبة وحاد عن الطريق جعلنا الله واياك ممن يستمع القول فيتبع احسنه اه

سؤال رفع للنجم الغيطي وفي جوابه فوائد كثيرة

وسئل الامام الحافظ محمد نجم الدين الغيطي بما صورته هل العلماء اولياء الله تعالى العامل منهم وغيره ام لا وهل في كل مسلم بركة ام لا وهل الاعتقاد في احد من المسلمين واجب او مستحب ام كيف الحال اوضحوا لنا الجواب اثابكم الله تعالى الجنة بمنه وكرمه . فاجاب رضي الله تعالى عنه بقوله الولاية عامة وخاصة . فالعامة ولاية الايمان فمن آمن بالله ورسوله وما جاء به فهو ولي قال الله تعالى (الله ولي الذين امنوا) ثم ولاية القيام بالمامورات قال الله تعالى (الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون) . والولاية الخاصة محبة الله للعبد وحفظه له من الوقوع في المخالفات لقوله صلى الله عليه

وسلم في الحديث القدسي ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث المشهور . فالايمان بداية الولاية والصديقية القصوى غايتها وبين الغاية والبداية مراتب ومقامات واحوال تتفاوت فيها اقدام الرجال وهي بكل حال ممدوحة ومطلوبة لكن المراد بالولاية حيث اطلقت في كلام القوم وكتبهم الخاصة . فالعلماء العاملون وغيرهم يطلق عليهم انهم اولياء الله تعالى من حيث دخولهم في الولاية العامة واما الولاية بمعنى القيام بالمامورات والولاية الخاصة فلا تطلق الا على العلماء العاملين فقد روى البيهقي في مناقب الامام الشافعي من طريق الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي يقول ان لم تكن الفقهاء اولياء الله تعالى في الآخرة فما لله ولي اه ومراد الشافعي من ذلك الفقهاء العاملون بدليل قوله رضي الله تعالى عنه ايضاً كما نقل عنه ايضاً ما احد اورع لخالقه من الفقهاء . واما السوءال عن كون ان في كل مسلم بركة ام لا فنقول البركة كما قال الراغب ثبوت الخير الالهي في الشيء والمبارك هو ما فيه ذلك الخير ولا شك ان المسلم فيه الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما جاء به وذلك بركة وخير الهي في كل مسلم وقد روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث عمار بن ياسر مرفوعاً مثل امتي كالمطر يجعل الله في اوله خيرا وفي آخره خيرا وروي ابن عساكر في تاريخه من جهة ابن ابي مليكة عن عمرو بن عثمان رفعه مرسلا امتي امة مباركة لا يدري اولها خيرا وآخرها

واما السوءال عن الاعتقاد في احد من الخلق فنقول اذا رأينا مسلما ماشياً على الطريق المرضية مما جاء في الكتاب العزيز والسنة النبوية فاعتقاده والقرب منه والاقتداء به مندوب اليه واذا رأينا مسلما مستورا ظاهره الخير ولم

يطلع منه على ما ينكره الشرع فتحسين الظن به. واعتقاد خيريته مستحب · فقد روى الديلمي في مسند الفردوس عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحقرن احدا من المسلمين، فان صغير المسلمين عند الله كبير · وروى ابن ماجه عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة و يقول ما اطيبك واطيب ريحك ما اعظمك واعظم حرمتك والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن اعظم عند الله منك ماله ودمه وان نظن به الا خيرا و ذلك ايضا سنة السلف والخلف فقد قال امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه من احب ان يقضى له بالخير فليحسن ظنه بالناس · قال العارف الكبير الشيخ احمد الزاهد في كتابه تحفة الابرار حسن الظن بالناس صيفة وسوء الظن بهم حرمان وكنت اسمع شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصاري رحمه الله تعالى كثيرا ما يقول ذلك

حديث الحزم سوء الظن

وروى ابن النجار اي كما نقله العلامة المحقق في الزواجر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اساء باخيه الظن فقد اساء بربه ان الله تعالى يقول (اجتنبوا كثيرا من الظن) وفي الحديث ايضاً حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء · واما ما ورد من حديث الحزم سوء الظن وما في معناه فهو ضعيف ويجاب عنه بان الحزم ضبط الامر والحذر من فواته فالمعنى ان الحذر من الناس وعدم الركون الى احد منهم اسلم واضبط للامر خوفاً من فواته وضياعه لا انه يظن بالناس الظن السوء الذي امر باجتنابه في قوله تعالى (اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم) وفي قوله صلى الله عليه وسلم واياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ونحو ذلك لان المراد بالظن الظن السوء المامور

باجتنابه كما قاله الخطابي تحقيق الظن بالمظنون به وكذا ما يقع ويستقر في القلب من غير دليل وقال القرطبي رحمه الله تعالى المراد بالظن المنهي عنه التهمة التي لا سبب لها كمن يتهم رجلاً بالفاحشة من غير ان يظهر عليه ما يقتضيها وفي تحفة الاكياس لسيدي علي المصري قال الشيخ الاكبر محيي الدين اعلم انه لم يأت لنا شرع بالحث على سوء الظن ثم ان ورد فهو مؤول اه قال بعضهم نعم اولوا حديث علي وعائشة مرفوعا الحزم سوء الظن وحديث انس مرفوعاً احترسوا من الناس بسوء الظن بأن المراد ان يعامل العبد الناس وهو محترس منهم كمعاملة من يسيئ ظنه بهم لا الحث على سوء الظن وكان الشيخ ابو يعقوب الشهرزوري يقول حديث احترسوا من الناس بسوء الظن معناه اي بانفسكم لا بالناس وكذلك حديث الحزم سوء الظن معناه اي بالنفس لا بالناس اه وفي مجالس الحضري الرشيدي قال مطرف التابعي الكبير في خبر احترسوا من الناس بسوء الظن معناه تحفظوا منهم تحفظ من اساء الظن وقيل فيه حذف اي من شرار الناس فلا يعارض خبر اياكم وسوء الظن لحمله على من تحقق حسن سريرته وامانته وذاك في من ظهر خداعه وخيانته وخلفه للوعد والقرينة تغلب احد الطرفين فيعامل الاول بحسن الظن والثاني بمقابله وقيل معناه لا تثقوا بكل احد ويشهد له خبر من حسن ظنه بالناس كثرت ندامته واما لفظ الثقة بكل احد عجز فقال السخاوي لا اعرفه وفي المثل رب زائر يراوحك ويناديك وهو ممن يكادحك ويعاديك قاله المناوي على الجامع اه . واما اذا رأينا شخصاً عاقلاً تاركاً لبعض الواجبات او كلها مرتكبا للمنهيات كذلك فلا نعتقده ولا نحسن الظن به بل ننكر عليه ونأمره بالمعروف حفظاً لقرائن الشريعة المطهرة . فقد نقل ما يشهد لذلك من اقوال الائمة المعتبرة قال الامام القشيري في رسالته نقلاً عن العارف

الكبير وصاحب الحال الشهير ابي يزيد البسطامي رحمه الله تعالى قال لو نظرتم الى رجل اعطى من الكرامات حتى يرتفع بما يرتفع به في الهواء يعني يطير فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهي والحدود الشرعية · ونقل عنه ايضاً انه مضى الى رجل مشهور بالزهد ليزوره و ينظر اليه فلما خرج الرجل من بيته ودخل المسجد رمى ببصاقه تجاه القبلة فانصرف ابو يزيد وقال هذا غير مأمون على ادب من آداب الشريعة فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه من الولاية اذ اعتبار الاولياء يكون بملازمتهم الشريعة وآدابها فان الولي محفوظ من الزلل غالباً · ونقل في الرسالة ايضاً عن الشيخ العارف بالله تعالى ابي الخير التلياني انه قال ما بلغ احد الى حالة شريفة الا بملازمته الموافقة يعني للعلم والعمل وملازمة الآداب واداء الفرائض وصحبته الصالحين اه واما من كان مسلوب العقل ومغلوباً عليه كالمجاذيب فنسلم لهم حالهم ونفوض لله تعالى شأنهم هذا ما تيسر الآن وجرى به القلم اه · وفي تنوير الحلك للسيوطي بعد ان ذكر احاديث كثيرة وآثاراً صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم في اليقظة منها حديث البخاري ومسلم وابي داود عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآني في المنام فسيراني في اليقظة اي بعيني رأسه واخرج مثله الطبراني والدارمي من طريق اخرى ما نصه من مواضع مع يسير زيادة من الفتاوي الحديثية وغيرها · فحصل من مجموع هذه النقول ان النبي صلى الله عليه وسلم حي في قبره بروحه وجسده وانه يتصرف و يسير حيث شاء في اقطار الارض وفي الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته لم يتبدل منه شيء وانه مغيب عن الابصار كما غيبت الملائكة مع كونهم احياء باجسادهم فاذا اراد الله تعالى رفع الحجاب عمن اراد اكرامه برؤيته راه على هيئته التي هو عليها اذ لا مانع من ذلك

ولا داعي الى التخصيص برؤية المثال الذي تعسف به بعض الناس لعدم ورود دليل من الشرع عليه اصلاً . واحتجاج ذلك البعض بان العين الفانية لا ترى العين الباقية وهو صلى الله عليه وسلم في دار البقاء والرائي في دار الفناء مردود بان المؤمن اذا مات يرى الله تعالى وهو لا يموت ابداً والواحد منهم يموت في كل يوم سبعين مرة و بأن نبينا صلى الله عليه وسلم راى جماعة من الانبياء ليلة المعراج و بانه قد سمع من جماعة من الصالحين الذين لا يتهمون في زماننا وقبله انهم راوا النبي صلى الله عليه وسلم يقظة حياً بعد وفاته وسألوه عن اشياء واخبرهم عن امور وجاء الامر كما اخبر بلا زيادة ولا نقص و بان ذلك من باب الكرامة . ومعنى ما في الرواية الاخرى فكانما رآني في اليقظة ان رؤياه صحيحة وممن صرح بان رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة والتلقي منه من كرامات الاولياء الغزالي والبارزي والسبكي واليافعي والقرطبي وابن ابي جمرة وكثيرون اخيار اتقياء ابرار . و ياعجباً للمنكر كيف ياخذ بقولهم في الاحكام و يعمل بها فيما بينه و بين الله تعالى ويعتمد عليها في التحليل والتحريم و يتوقف في اخذ ذلك وامثاله عنهم وهم المتضلعون من الكتاب والسنة ولا يخبرون الا عن يقين في تلك المسألة المستفيضة عن اولياء الله تعالى . ثم لا مانع من ان يراه صلى الله عليه وسلم كثيرون في وقت واحد لانه كالشمس في كبد السماء وضوءها يغشى البلاد مشارقاً ومغارباً ومنكر ذلك جاهل بقدرة القادر وغير مصدق بقول الصادق المصدوق . ولا يلزم مما ذكر ان الرائي صحابي لان شرط الصحبة الرؤية في عالم الملك وهذه رؤية وهو صلى الله عليه وسلم في عالم الملكوت وهي لا تفيد صحبة والا لثبتت لجميع امته لانهم عرضوا عليه في ذلك العالم فرآهم ورأوه كما جاءت به الاحاديث الصحيحة . ومثله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر سائر الانبياء فهم

احياء في قبورهم ردت اليهم ارواحهم بعد ما قبضوا وأذن لهم في الخروج من قبورهم والتصرف باذنه تعالى في الملكوت العلوى والسفلي كما ايدته الاخبار الكثيرة

﴿ بحث في ان الانبياء احياء في قبورهم اذن لهم بالخروج والتصرف ﴾

وقد الف الامام البيهقي جزءاً في حياتهم في قبورهم واورد فيه عدة اخبار يقوي بعضها بعضاً حتى بلغ بعضها درجة الحسن ثم المراد بتلك الحياة غير معقول لنا ولكنها فوق حياة الشهداء بكثير وحياة نبينا صلى الله عليه وسلم اكمل واتم من حياة سائرهم عليهم الصلاة والسلام · واما خبر ما من مسلم يسلم علىّ الا رد الله علىّ روحي حتى ارد عليه السلام فمحمول للجمع بين الاخبار على اثبات اقبال خاص والتفات روحاني يحصل من الحضرة الشريفة الى عالم الدنيا وتنزل الى عالم البشرية حتي يحصل عند ذلك رد السلام وفيه توجيهات اخرى مذكورة في محلها· قلت منها خمسة عشر وجها في رسالة انتباه الاذكياء في حياة الانبياء وسبعة عشر في كتاب شفاء الصدور بشرح حال الموتي في القبور كلاهما للحافظ السيوطي ومنها للعلامة المحقق في الجوهر المنظم وحواشي مناسك النووى ما يشفي الغليل فان اردت ذلك فارجع الى هذه الكتب فانا لم نورد ما فيها هنا خوفا من التطويل · ثم ان تلك الحياة في القبر وان كان يترتب عليها بعض ما يترتب على الحياة في الدنيا المعروفة لنا من الصلاة والاذان والاقامة كما سمعه من الحجرة المحمدية سيدنا سعيد بن المسيب رضى الله تعالى عنه ووردت به ورد السلام المسموع ونحوه الاحاديث والآثار الصحيحة المبينة في الكتب المتقدمة وغيرها الا انه لايترتب عليها كل ما يمكن ان يترتب على تلك الحياة المعروفة لنا ولا يحس بها ولا يدركها كل احد فلوفرض انكشاف قبر نبي

من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يرى الناس النبي فيه الا كما يرون سائر الاموات الذين لم تاكل الارض اجسامهم وهم عشرة وردت النصوص فيهم بذلك وبينها الامام السيوطي وغيره وهي التي صيرت عموم حديث كل ابن آدم ياكله التراب مراداً به الخصوص وهم منظومون في قول شيخي العلامة احمد الحلواني المذكور سابقاً

الانبيا والشـهدا والعلما ‏ ‏ ‏ وقارئ ومن اذانا يحتسب
مرابط وكل صديق ومن ‏ ‏ ‏ يكثر ذكر الله او له يحب
وميت الطاعون ثلاث عشرة ‏ ‏ ‏ لا تاكل الارض لهم جسما فطب

هذا وربما يكشف الله تعالى عن بعض عباده فيرى مالا يرى الناس ولولا هذا لاشكل الجمع بين الاخبار الناطقة بحياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم كما سياتي · وخبر ابي يعلى وغيره بسند صحيح مرفوعاً ان موسى نقل يوسف من قبره بمصر · فان قال قائل لم يبلغنا ظهوره صلى الله عليه وسلم بعد وفاته لاحد من اصحابه واهل بيته وهم مع احتياجهم الشديد الى ذلك وقد وقع اختلاف بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم من حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ما يشاء الله تعالى في مسائل دينية ودنيوية وفيهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم واليهم ينتهي اغلب سلاسل الصوفية الذين تنسب اليهم تلك الرؤية ولم يبلغنا ان احداً منهم ادعى انه رأى في اليقظة رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ عنه ما اخذ كما ذكرت فعدم ظهوره لاولئك الكرام وظهوره لمن بعدهم مما يحتاج الى توجيه يقنع به ذوا الافهام · فالجواب ان تلك الرؤية من خوارق العادة كسائر كرامات الاولياء ومعجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكانت الخوارق في الصدر الاول لقرب العهد بشمس الرسالة

قليلة جداً وانى يرى النجم تحت الشعاع او يظهر كوكب وقد انتشر ضوء الشمس في البقاع · ويمكن ان يكون وقع ذلك لبعضهم على سبيل الندرة ولم تقتض المصلحة افشاءه · وقد يقال لم يقع في ذلك الزمن لحكمة الابتلاء او لخوف الفتنة او لان في القوم من هو كالمرآة له صلى الله عليه وسلم او ليهرع الناس الى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فيما يهمهم فيتسع باب الاجتهاد وتنتشر الشريعة وتعظم الحجة التي يمكن ان يعقلها كل احد او نحو ذلك · وربما يدعى انه عليه الصلاة والسلام ظهر ولكن كان مستتراً في ظهوره كما روي ان بعض الصحابة احب ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الى زوجه ميمونة رضي الله تعالى عنها فاخرجت له مرآته فنظر فيها فرأى صورة رسول الله صلى الله وسلم ولم يرَ صورة نفسه فهذا كالظهور الذي يقول به بعض الصوفية الا انه بحجاب المرآة وليس من باب التخيل الذي قوي بالنظر الى مرآته صلى الله عليه وسلم وملاحظة انه كثيرا ما ظهرت فيها صورته حسبما ظنه ابن خلدون

الكلام في ذكر كرامات الاولياء

وقال العلامة المحقق في الفتاوي الحديثية كرامات الاولياء حق عند اهل السنة والجماعة خلافاللمخاذيل المعتزلة والزيدية · وقول الفخر الرازي ان ابا اسحاق الاسفرائني انكرها ايضا · مردود بانه انما انكر منها ما كان معجزة لنبي كاحياء الموتى لئلا تختلط الكرامة بالمعجزة وغلطه النووى كابن الصلاح بانه ليس في كراماتهم معارضة للنبوة لان الولي انما اعطى ذلك ببركة اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم فلا تظهر حقيقة الكرامة عليه الا اذا كان داعيا لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم بريئا من كل بدعة وانحراف عن شريعة النبي صلى الله عليه وسلم ببركة اتباعه صلى الله عليه وسلم يؤيده الله تعالى بملائكته وروح منه و يقذف

في قلبه من انواره . والحاصل ان كرامة الولي من بعض معجزات النبي لكن لعظم اتباعه له اظهر الله بعض خواص النبي على يدى وارثه ومتبعه في سائر حركاته وسكناته وقد نزلت الملائكة لاستماع قراءة اسيد بن خضير الكندي وكان سلمان وابو الدرداء يأكلان في صحفة فسبحت الصحفة وما فيها . ثم لصحيح انهم ينتهون في الكرامة الى احياء الموتى خلافاً لابي القاسم القشيري ومن ثم قال الزركشي ما قاله مذهب ضعيف والجمهور على خلافه وقد انكروه عليه حتى ولده ابو نصر في كتابه المرشد فقال عقب تلك المقالة والصحيح تجويز جملة خوارق العادات كرامة للاولياء وكذا في ارشاد امام الحرمين وفي شرح مسلم للنووي تجويز الكرامات بخوارق العادات على اختلاف انواعها وخصها بعضهم باجابة دعوة ونحوها وهذا غلط من قائله وانكار للحس بل الصواب جريانها بانقلاب الاعيان ونحوه اه . ولا ينافي احياء الميت الواقع كرامة كما وقع من بعض السلف في طلبه من الله تعالى احياء فرسه الميتة في الغزو حتى وصل الى بيته عليها وكما وقع من القطب الجيلاني عبد القادر من قوله للدجاجة المطبوخة قومي باذن الله تعالى فقامت وطارت فيما حكاه اليافعي رضي الله تعالى عنه بالسند المتصل اليه ان الاجل محتوم لا يزيد ولا ينقص لان من احيي كرامة مات اوّلاً باجله وحياته وقعت كرامة وكون الميت لا يحيي الا للبعث هذا عند عدم الكرامة اما عندها فهو كاحيائه في القبر للسؤال كما صح به الخبر وقد وقع للعزيز وحماره (ألم ترَ الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم) اه المقصود من كلامه . وفي حواشي السيد محمد بن عابدين على الدر المختار ما بعضه وفي البحر عن عدة الفتاوي الكعبة اذا رفعت من مكانها لزيارة اصحاب الكرامة ففي تلك الحالة تجوز الصلاة الى ارضها كما نقله في التتارخانية عن

الفتاوي العتابية ومثله في الولوالجية قال الخير الرملي وهذا صريح في كرامات الاولياء فيرد به على من نسب امامنا الى القول بعدمها اه ثم قال السيد المذكور والحاصل انه لا خلاف عندنا في ثبوت الكرامة وانما الخلاف فيما كان من جنس المعجزات الكبار يعني كطي الارض والمعتمد الجواز مطلقاً الا فيما ثبت بالدليل عدم امكانه كالاتيان بسورة وتمام الكلام على ذلك في حاشية الطحطاوي اه وهو كلام في غاية التحرير والمتانة وبعض الافاضل ما صورته واما انكار بعض الحنفية حصول طي المسافة كرامة والقول بانه لا يكون الا معجزة فقط فقد رده ائمة الحنفية ايضاً في كتب الفقه و كتب العقائد بمسئلة ما لو تزوج مغربي بمشرقية بينهما سنة فولدت لستة اشهر من تزوجها فانه يلحق به النسب كما هو نص المذهب لتصور الدخول باتيانه اليها بطي المسافة كرامة لثبوت كرامات الاولياء فيكون صاحب خطوة وقد اطبق على هذا الفقهاء وغيرهم (اي من الحنفية) اه منهم في مصنفاتهم كالدرر والوهبانية والفقه الاكبر والسواد الاعظم ووصية ابي يوسف والعقائد النسفية والمقاصد والمواقف وشروحها كيف وقد ورد به القرآن الشريف الذي هو عمدة استدلال اهل السنة على وجوب اعتقاد الكرامة وذلك قصة اتيان عرش بلقيس من المكان البعيد في اقل من طرفة عين به (١) فان هذا من طي المسافة قطعاً كما لا يخفى على من عنده بعض انصاف اه وقد ثبت انهم رأوا ابراهيم بن ادهم رضي الله تعالى عنه بالبصرة يوم التروية ورؤي في ذلك اليوم بمكة المشرفة كما نقله السيد محمد بن عابدين في حواشيه المتقدم ذكرها كغيره من السادة الحنفية وفي طبقات الامام المناوي الكبرى الكرامة اظهار امر خارق للعادة على يد الولي مقرون بالطاعة والعرفان بلا دعوى نبوة وتكون

(١) قوله به اي بطي المسافة اه مؤلفه

بالدلالة على صدقه وفضله او لقوة يقين صاحبها او غيره وهي جائزة وواقعة عند اهل السنة ولو بقصد الولي على الاصح وان كان الغالب خلافه، ومن جنس المعجزات على الصواب لشمول القدرة الالهية لها وذلك لان وجود الممكنات مستند الى قدرته تعالى الشاملة لكلها فلا يمتنع شيء منها على قدرته ولا يجب غرض في افعاله ولا ريب ان الكرامة امر ممكن اذ لا يلزم من فرض وقوعها محال لذاته فهي جائزة بل واقعة كما تقدم حسبما نطق به القرآن الشريف والحديث النبوي المنيف اه . وفي المواقف مع شرحها كرامات الاولياء جائزة وواقعة اما جوازها فظاهر على اصولنا وهي ان وجود الممكنات مستند الى قدرته تعالى الشاملة لجميعها فلا يمتنع شيء منها على قدرته ولا يجب غرض في افعاله ولا شك ان الكرامة امر ممكن اذ ليس يلزم من فرض وقوعها محال لذاته واما وقوعها فلقصة مريم حيث حملت بلا ذكر ووجد الرزق عندها بلا سبب وتساقط عليها الرطب من النخلة اليابسة وجعل هذه الامور معجزات لزكريا او ارهاصاً لعيسى مما لا يقدم عليه منصف وكذا قصة آصف وهي احضاره عرش بلقيس من مسافة بعيدة في طرفة عين ولم يكن ذلك معجزة لسليمان عليه السلام اذ لم يظهر على يده مقارناً لدعواه النبوة وقصة اصحاب الكهف وهي ان الله تعالى ابقاهم ثلثمائة سنة وازيد نياماً احياء بلا آفة ولم يكونوا انبياء اجماعاً انتهى . وقال العلامة المحقق في موضع آخر غير المتقدم من فتاواه الحديثية المذكورة سابقاً غير مرة الحق الذي عليه اهل السنة والجماعة من الفقهاء والاصوليين والمحدثين وكثيرون من غيرهم خلافاً للمعتزلة ومن قلدهم في بهتانهم وضلالهم من غير روية ولا تامل وكان الاستاذ ابو اسحاق يميل الى قريب من مذهبهم او يؤول كلامه اليه كما هو الظاهر . ان ظهور الكرامة على الاولياء وهم القائمون بحقوق الله تعالى وحقوق

عباده بجمعهم بين العلم والعمل وسلامتهم من الهفوات والزلل جائزة عقلا كما هو واضح لانها من جملة الممكنات ولا يمتنع وقوع شئ لقبح عقلي لانه لا حكم للعقل وليس في وقوع الكرامة ما يقدح في المعجزة بوجه فانها لا تدل امينها بل لتعلقها بدعوى الرسالة فكما جاز تصديق مدعيها بما يطابق دعواه جاز ان يصدر عنه مثله اكراماً لبعض اوليائه وسيأتي لذلك مزيد في تحقيق الفرق بينهما . ووقوعه نقلاً مفيداً لليقين من جهة مجيء القرآن به ووقوع التواتر عليه قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل اي ولو باختيارهم وطالبهم كما صرح به البناني على جمع الجوامع وغيره وكتب العلم شرقاً وغرباً وعجماً وعرباً ناطقة بوقوعها متواترة تواتراً معنوياً لا ينكره الا غبي او معاند . فما في القرآن مجيئ رزق مريم اليها من الجنة اي من غير سبب ظاهر وحدوث الحبل لها من غير فحل وهزها جذع النخلة حتى تساقط عليها منه الرطب الجني من غير اوان الرطب وعجائب الخضر بناء على المرجوح انه ولي لا نبي وقصة ذي القرنين واصحاب الكهف وكلام كلبهم لهم وليسوا بانبياء باجماع الفرق وقصة الذي عنده علم من الكتاب وهو آصف بن برخيا في احضاره لعرش بلقيس قبل رمش العين من مسيرة اكثر من شهر . ومما في السنة تكليم الطفل لجريج وانفراج الصخرة عن الثلاثة الذين في الغار بدعائهم وتكثير طعام ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في القصعة مع ضيفه حتى صار بعد الاكل اكثر مما كان قبله بثلاث مرات . وروى هذه الثلاثة البخاري ومسلم . وورويا ايضاً انه صلى الله عليه وسلم قال في حق عمر رضي الله تعالى عنه انه من المحدثين بفتح الدال اي الملهمين . وصح عنه رضي الله تعالى عنه انه بينما هو يخطب على منبر المدينة يوم الجمعة واذا هو ينادي في حالة خطبته على رؤس الاشهاد من اكابر الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين

يا سارية الجبل اي الزم الجبل واجعله وراء ظهرك لكمون العدو بجانبيه فتعجب الناس لذلك وانكروا عليه حتى قال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه بعد ذلك وشدد عليه واخبره بما قال الناس فيه ثم ظهر لهم قريباً الواقعة وصدقها وما فيها من الكرامات ومنها الكشف له عن حال سارية والمسلمين وعدوهم ومنها بلوغ صوته لسارية ومن معه حتى سمعوا واهتدوا الى ان هذا صوت عمر كما رواه البيهقي مع بعد الشقة فانه كان بنهاوند من ارض العجم جنوبي همدان ومعه سرية من المسلمين فكمن لهم عدوهم في الجبل ليستأصلوهم فكشف لعمر رضي الله تعالى عنه عن حالهم فناداهم يحذرهم الكمين الذي بجنب الجبل فبلغه صوته فسمعه فاستيقظوا للكمين وظفروا بهم . وروى البخاري في صحيحه مجيء العنقود من العنب في غير اوانه لخبيب لما اريد قتله بمكة . وروى البغوي والخطيب التبريزي والبخاري واحمد في مسنده والحاكم في مستدركه وعبد الرزاق في مصنفه ان اسيد بن حضير وعباد ابن بشر تحدثا عند النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة لهما حتى ذهب ساعة من الليل اي طويلة في ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقلبان الى بيتهما و بيد كل واحد منهما عصا فأضاءت عصى احدهما لهما حتى مشيا في ضوئها حتى اذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ اهله . وروى البخاري ومسلم ان كلا من سعد وسعيد من العشرة المبشرين بالجنة دعى على من كذب عليه فاستجيب له بعين ما سأله . وروى البخاري عن جابر رضي الله تعالى عنه قال لما حضر احد دعاني ابي من الليل فقال ما اراني الا مقتولاً في اول من يقتل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واني لا اترك بعدي اعز علي منك غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن علي ديناً

عباده بجمعهم بين العلم والعمل وسلامتهم من الهفوات والزلل جائزة عقلا كما هو واضح لانها من جملة الممكنات ولا يمتنع وقوع شيء لقبح عقلي لانه لا حكم للعقل وليس في وقوع الكرامة ما يقدح في المعجزة بوجه فانها لا تدل امينها بل لتعلقها بدعوى الرسالة فكما جاز تصديق مدعيها بما يطابق دعواه جاز ان يصدر عنه مثله اكراماً لبعض اوليائه وسيأتي لذلك مزيد في تحقيق الفرق بينهما . وواقعه نقلاً مفيداً لليقين من جهة مجيء القرآن به ووقوع التواتر عليه قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل اي ولو باختيارهم وطلبهم كما صرح به البناني على جمع الجوامع وغيره وكتب العلم شرقاً وغرباً وعجماً وعرباً ناطقة بوقوعها متواترة تواتراً معنوياً لا ينكره الا غبي او معاند . فمما في القرآن مجيء رزق مريم اليها من الجنة اي من غير سبب ظاهر وحدوث الحبل لها من غير فحل وهزها جذع النخلة حتى تساقط عليها منه الرطب الجني من غير اوان الرطب وعجائب الخضر بناء على المرجوح انه ولي لا نبي وقصة ذي القرنين واصحاب الكهف وكلام كلبهم لهم وليسوا بانبياء باجماع الفرق وقصة الذي عنده علم من الكتاب وهو آصف بن برخيا في احضاره لعرش بلقيس قبل رمش العين من مسيرة اكثر من شهر . ومما في السنة تكليم الطفل لجريج وانفراج الصخرة عن الثلاثة الذين في الغار بدعائهم وتكثير طعام ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في القصعة مع ضيفه حتى صار بعد الاكل اكثر مما كان قبله بثلاث مرات . وروى هذه الثلاثة البخاري ومسلم . ورويا ايضاً انه صلى الله عليه وسلم قال في حق عمر رضي الله تعالى عنه انه من المحدثين بفتح الدال اي الملهمين . وصح عنه رضي الله تعالى عنه انه بينما هو يخطب على منبر المدينة يوم الجمعة واذا هو ينادي في حالة خطبته على رؤس الاشهاد من اكابر الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين

يا سارية الجبل اي الزم الجبل واجعله وراء ظهرك لكمون العدو بجانبه فتعجب الناس لذلك وانكروا عليه حتى قال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه بعد ذلك وشدد عليه واخبره بما قال الناس فيه ثم ظهر لهم قريبا الواقعة وصدقها وما فيها من الكرامات ومنها الكشف له عن حال سارية والمسلمين وعدوهم ومنها بلوغ صوته لسارية ومن معه حتى سمعوا واهتدوا الى ان هذا صوت عمر كما رواه البيهقي مع بعد الشقة فانه كان بنهاوند من ارض العجم جنوبي همدان ومعه سرية من المسلمين فكمن لهم عدوهم في الجبل ليستأصلوهم فكشف لعمر رضي الله تعالى عنه عن حالهم فناداهم يحذرهم الكمين الذي بجنب الجبل فبلغه صوته فسمعه فاستيقظوا للكمين وظفروا بهم . وروى البخاري في صحيحه مجيء العنقود من العنب في غير اوانه لخبيب لما اريد قتله بمكة . وروى البغوي والخطيب التبريزى والبخاري واحمد فى مسنده والحاكم فى مستدركه وعبد الرزاق في مصنفه ان اسيد بن حضير وعباد ابن بشر تحدثا عند النبي صلى الله عليه وسلم فى حاجة لهما حتى ذهب ساعة من الليل اي طويلة في ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقلبان الى بيتهما و بيد كل واحد منهما عصا فأضاءت عصى احدهما لهما حتى مشيا فى ضوئها حتى اذا افترقت بهما الطريق أضاءت الآخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ اهله . وروى البخاري ومسلم ان كلا من سعد وسعيد من العشرة المبشرين بالجنة دعى على من كذب عليه فاستجيب له بعين ما سأله . وروى البخاري عن جابر رضي الله تعالى عنه قال لما حضر احد دعاني ابي من الليل فقال ما اراني الا مقتولاً فى اول من يقتل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واني لا اترك بعدي اعز علي منك غير نفس رسول الله صلى عليه وسلم وأن على ديناً

فاقض واستوص باخوتك خيراً فاصبحنا فكان اول قتيل اه . و روى البغوي في شرح السنة باسناده عن ابن المنكدر ان سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اخطا الجيش بأرض الروم او امر فانطلق هارباً يلتمس الجيش فاذا هو بالاسد فقال يا أبا الحارث انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من امري كيت وكيت فاقبل الاسد له بصبصبة اي تحريك ذنب كفعل الكلب ءاقفًا حتى قام الى جنبه كلما سمع صوتاً اهوى اليه اي قصده ليدفعه ان كان صوت أذى ثم اقبل يمشي الى جنبه حتى بلغ الجيش ثم رجع الاسد فكانه كان دليلاً ولايصاله كفيلاً وقد اشار صاحب البردة الى هذه الزبدة بقوله

ومن تكن برسول الله نصرته ... ان تلقه الاسدفي اجامها تجم

انتهي . وصح في مسلم رب اشعث اغبر مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لابره قيل لو لم يكن الا هذا الحديث لكفى في الدلالة لهذا المبحث . قلت ومن وقوع الكرامة من التابعين كما نقله الشنواني في حواشيه على الجوهرة ما روى ان عبد الله الشقيق كان اذا مرت عليه السحابة يقول لها اقسمت عليك بالله الا ما امطرت فتمطر في الحال و بلغ الحجاج ان عبد الرحمن بن نعيم يمكث خمسة عشر يوما لا يأكل ولا يشرب فحبسه خمسة عشر يوماً فوجده قائمًا يصلي بالوضوء الذي دخل به الحبس اه . ثم قال العلامة المحقق واذا تقرر جوازها ووقوعها اي الكرامة من غير حصر ولا احصاء فالذي عليه معظم الائمة انه يجوز بلوغها مبلغ المعجزة في جنسها وعظمها . فانما يفترقان في ان المعجزة تقارن بدعوى النبوة اي باعتبار الجنس او ما من شأنه والا فاكثر معجزات الانبياء لاسيما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقعت من غير ادعاء نبوة والكرامة تقترن بدعوى الولاية او تظهر على يد الولي من غير دعوى شيء وهو الاكثر . فمن اولئك الائمة الامام ابو بكر

ابن فورك · وعبارته المعجزات دلالات الصدق ثم ان ادعى صاحبها النبوة فالمعجزة تدل على صدقه في مقالته فان اشار صاحبها الى الولاية دلت المعجزة على صدقه في مقالته فتسمى كرامة ولا تسمى معجزة وان كانت من جنس المعجزات · وامام الحرمين والمخص عبارة ارشاده الذي صار اليه اهل الحق انخراق العادات في حق الاولياء · ثم مجوزوا الكرامات تحزبوا احزابا · فمنهم من شرط ان لا يختارها الولي وبهذا فرقوا بينها و بين المعجزة وهذا غير صحيح · ومنهم من منع وقوعها على قضية دعوى الولاية لئلا تشابه المعجزة وهذا غير مرضي عندنا بل قد تقع مع دعوى ذلك · ومن بعض اصحابنا من شرط ان لا تكون معجزة لنبي كانفلاق البحر واحياء الموتى وهذا غير سديد · والمرضي عندنا تجويز جملة خوارق العادات في معارض الكرامات ثم ذكر بعد ان الكرامة والمعجزة ليس بينهما فرق الا وقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة والكرامة دون ادعائه النبوة · والامام ابو حامد الغزالي فانه شرط في تسمية الخارق معجزة اقترانه بدعوى النبوة فاقتضي انه لا فرق بينها وبين الكرامة الا ذلك · ومن ثم قال في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد لما ذكر خوارق العادات في الكرامات وذلك اي خرق العادة مما لا يستحيل في نفسه لانه ممكن لا يؤدي الى بطلان المعجزة لان الكرامة عبارة عما يظهر من غير اقتران التحدي فان كان مع التحدي فانا نسميه معجزة · والفخر الرازي والبيضاوي فانهما لم يفرقا بينهما الا بتحدي النبوة وكذلك حافظ الدين النسفي فانه قال لا يقال لو جازت الكرامة لا نسد طريق الوصول الى معرفة النبي صلى الله عليه وسلم لان المعجزة تقارن دعوى النبوة ولو ادعاها الولي كفر من ساعته · وسبقه لذلك الامام ابو القاسم القشيري حيث قال شرائط المعجزة كلها او اكثرها توجد في الكرامة الا دعوى النبوة قال

الامام اليافعي بعد نحو ذلك عن هؤلاء الائمة وغيرهم فهؤلاء اتفقوا على ان الفارق بينهما هو تحدي النبوة فقط ولم يشترط احد منهم كون الكرامة دون المعجزة في جنسها وعظمها فدل ذلك على جواز استوائهما فيما عدا التحدي كما صرح به امام الحرمين فيجوز اجتماعهما فيما عدا التحدي من سائر الخوارق حتى احياء الموتى · في رسالة القشيري باسناده الى ابي عبد الله التستري احد كبار مشايخ الرسالة انه خرج غازيا في سرية فمات المهر الذي تحته وهو في البرية فقال يارب اعرناه حتى نرجع الى تستر يعني قريته فاذا المهر قائم فلما غزا ورجع الى تستر قال لابنه يابني خذ السرج عن المهر فقال انه عرق فيضره الهواء فقال يابني انه عارية فأخذ السرج فوقع المهر ميتاً · وفيها انه انطلق للغزو على حماره فمات فتوضأ وصلى ودعى الله تعالى ان يبعث له حماره ولا يجعل عليه منة لاحد فقام الحمار ينفض اذنيه · وفيها ايضاً عن اعرابي انه سقط جمله ميتاً ووقع رحله وقتبه فدعا ربه فقام الجمل وفوقه رحله وقتبه · وفيها ايضاً عن سهل التستري انه قال الذاكر لله على الحقيقة لوهمّ ان يحيي الموتى لفعل يعني باذن الله تعالى ومسح بيده على عليل بين يديه فبرئ وقام · قال الامام اليافعي واخبرني بعض صالحي اهل اليمن ان الشيخ الاهدل بالمهملة شيخ ابي الغيث رحمهم الله تعالى كانت عنده هرة يطعمها فضربها الخادم فقتلها ورماها في خربة فسأله الشيخ عنها بعد ليلتين او ثلاث فقال لا ادري فناداها الشيخ فاتت اليه واطعمها على عادته · قال واخبرني مغربي صالح عالم اعتقده باسناده ان بعض اصحاب الشيخ ابي يوسف الدهماني مات فحزن عليه اهله فاتى اليه وقال قم باذن الله تعالى فقام وعاش بعد ذلك ما شاء الله تعالى من الزمان · وقال ومن المشهور ما روى مسندا من خمس طارق عن جماعة من الشيوخ الاجلاء ان القطب الشيخ عبد القادر الجيلاني نفع

الله تعالى به جاءت اليه امرأة بولدها وخرجت عنه لله وله فقبله ثم امره بالمجاهدة فدخلت عليه امه يوماً فوجدته نحيلا مصفرا يأكل قرص شعير فدخلت على الشيخ فوجدت بين يديه اناء فيه عظم دجاجة قد اكلها فقالت ياسيدي تأكل لحم الدجاج ويأكل ابني خبز الشعير فوضع يده على ذلك العظم وقال قومي باذن الله محي العظام فقامت الدجاجة سوية وصاحت فقال الشيخ اذا كان ابنك هكذا فليأكل الدجاج وما شاء ٠ وقالوا مرت بمجلسه حداة في يوم شديد الحر وهو يعظ الناس فشوشت على الحاضرين فقال ياريح خذي رأس هذه الحداة فوقعت لتالي وقتها بناحية ورأسها في ناحية فنزل الشيخ واخذها في يده وامر يده الاخري عليها وقال بسم الله الرحمن الرحيم قومي باذن الله فحييت وطارت والناس يشاهدون وقد تكلمهم (١) الموتي ففي رسالة القشيري عن ابي سعيد الخراز رضي الله تعالى عنه انه كان مجاورا بمكة فمر بباب بني شيبة فرأى شابا حسن الوجه ميتاً فنظر في وجهه فتبسم وقال يا ابا سعيد اما علمت ان الأحياء احياء وان ماتوا وانما ينقلون من دار الى دار ٠ وجاء مسندا من ثلاث طرق ان الشيخ عبد القادر رضي الله تعالى عنه زار ومعه ناس كثيرون قبر الشيخ حماد الدباس فاطال الوقوف عنده ثم انصرف مسرورا فسئل فاخبر انه مر مع الشيخ حماد واصحابه على قنطرة بغداد لصلاة الجمعة فدفعه في النهر امتحاناً له بشدة البرد فلم يتأثر فاخبروا اصحابه بأنه جبل لا يتحرك وانه رأى الشيخ حمادا في قبره على احسن هيئة الا ان يده اليمنى لا تطيعه قال فقلت له ما هذا قال هذه اليد التي رميتك بها

(١) قوله وقد تكلمهم الموتي الخ قد عد بعض الائمة الانواع الواقعة من الكرامات عشرين نوعاً وهي اكثر بكثير فانظرها في شرح البردة للشيخ حسن العدوي الحمزاوي نمرة ٨٣ بمطبعة الحجر اه لمؤلفه احسن الله اليه

فهل انت غافر لي ذلك فقلت نعم قال فاسأل الله تعالى ان يردها علي فوقفت اسأل الله تعالى في ذلك وقام معي خمسة آلاف ولي في قبورهم يسألون الله تعالى ان يقبل مسالتي فيه و يتشفعون عندي في تمام المسألة فمازلت اسأل الله تعالى في ذلك حتى رد الله تعالى يده وصافحني بها ثم اجتمع المشايخ وطلبوا برهانا على هذه القصة فقال لهم اختاروا لكم رجلين نبين لكم ذلك على لسانهما فاختاروا شخصين غائبين وقالوا نمهلك فقال لا تقوموا حتى تسمعو امنهما فلم يلبثوا حتى جاء احدهما يشتد عدوًا فقال اشهدني الله الساعة الشيخ حمادا وقال لي يا يوسف اسرع الى مدرسة الشيخ عبد القادر وقل للمشايخ الذين فيها صدق الشيخ عبد القادر فيما اخبربه عني فلم يتم كلامه حتى جاء الآخر واخبر بمثل ما اخبر به فقاموا واستغفروا ٠ وكانفلاق البحر وجفافه ففي الرسالة اي القشيرية عن بعضهم كنا في مركب فمات رجل منا فاخذنا في جهازه فلما اردنا ان نلقيه في البحر جف فحفرنا له قبرًا ودفناه فارتفع الماء والمركب وسرنا ٠ وكانقلاب الاعيان وهو كثير لا يحصى منه انقلاب الحجر سمنا كما وقع للشيخ عيسى الهتار اليمني فانه مر على بغي قواعدها ليأتيها بعد العشاء ففرحت وتزينت وجاء ودخل بيتها وصلى ركعتين ثم خرج وقال حصل المقصود فتابت وزوجها لبعض الفقراء وامر بعمل عصيدة وليمة وان لا يشتري لها ادام ثم حضر هو والفقراء كالمنتظرين الادام وكان وصل الخبر لامير خدن لها فارسل بقارورتي خمر يمتحن الشيخ بهما ليتادموا بهما فأخذهما الشيخ فصبهما سمنًا اطيب ما يوجد فأكل منه الرسول وبلغ الخبر المخبر الامير فحضر واكل ما ادهشه فتاب لوقته ٠ وكطي الارض لهم وتعدد صور جسدهم في امكنة مختلفة وتفجير الماء وكلام الجمادات والحيوانات لهم وطاعة الاشياء لهم حتى الجن وغير ذلك مما اشتهر وتواتر تواترًا ادحض حجة المخالفين واباد شبه

الجاهلين - قال الامام اليافعي ومما تفارق الكرامة فيه المعجزة ان المعجزة يجب على النبي اظهارها والكرامة يجب على اولي اخفاؤها الا عند ضرورة او اذن او حال غالب لا يكون له فيه اختيار او تقوية يقين مريد قال واطلاق المحققين انه يجوز له اظهارها يحمل على بعض هذه الصور للعلم بان اظهارها لغير غرض صحيح لا يجوز بخلافه لغرض صحيح وضابطه ان يكون في اظهارها مصلحة كما وقع لمكافر ملك انه قال للشيخ ان لم تظهر لي كرامة والا قتلت الفقراء فاظهر له قاب بعير ذهباً ورمى بكوز فارغ في الهواء فامتلا ماء فنكس رأسه فلم يخرج منه قطرة فقيل للملك هذا سحر فامر الشيخ بايقاد نار عظيمة وبالسماع ثم دخل هو والفقراء فيها وخطف ولد الملك معهم فغاب ساعة وخرج وباحدى يديه رمانة والاخرى تفاحة فقيل وهذا سحر ايضاً فاخرج له الملك قدحاً ملآناً سماً وقال لا اصدق الا ان شربته جميعه فامر بالسماع ثم شربه فتمزقت ثيابه فابدلت فتمزقت وهكذا حتى بقيت ولم يصبه شيء غير انه كان يرشح عرقاً . وكما وقع للعارف ابي العباس المرسي رضي الله تعالى عنه ان رجلاً اضافه وقدم له طعاماً خبيثاً امتحاناً له فقال ان كان على يد الحارث بن اسد المحاسبي عرق يضرب اذا قدم له الحرام فعلى يدي ستون عرقاً كذلك فاستغفر الرجل وتاب . واما الفرق بين الكرامة والسحر فهو ان الخارق الغير المقترن بتحدي النبوة فان ظهر على يد صالح وهو القائم بحقوق الله وحقوق خلقه فهو الكرامة او على يد من ليس كذلك فهو السحر او الاستدراج . قال امام الحرمين وليس ذلك مقتضى العقل ولكنه متلقى من اجماع العلماء اهـ وتمييز الصالح المذكور عن غيره بين لا خفاء فيه اذ ليست السيما كالسيما ولا الآداب كالآداب وغير الصالح لو لبس ما عسى ان يلبس لابدان يرشح من نتن فعله او قوله ما يميزه عن الصالح . ومن ثم ناظر صوفي برهميا والبراهمة

قوم تظهر لهم خوارق لمزيد الرياضات فطار البرهمي في الجوّ فارتفعت اليه نعل الشيخ ولم تزل تضرب راسه وتصفعه حتى وقع على الارض منكوساً على راسه بين يدي الشيخ والناس ينظرون . اقول ووقع نظير هذا لشيخنا العارف ابن ابي الحمائل كان بفارسكور بلد قريب من دمياط فدخلها متوسم (١) بوسم الصوفية فاظهر لهم من الخوارق ما اوجب لغالب اهل البلد انهم تبعوه فظهر منه انحلال كثير عن طريق الاستقامة حتى اغوى كثيرين وكان له مجلس ذكر بالجامع الذي فيه شيخنا وله به ايضاً مجلس ذكر ففي ليلة فرغ شيخنا من مجلسه ولولئك لم يفرغوا فانصت ساعة ثم قال لتاسومته التي يلبسها في الجامع يا هذه التاسومة اذهبي الى هذا الشيخ فان كان كاذباً فاصفعيه الى ان يخرج من هذا الجامع فلم يلبث جماعة شيخنا السامعون لكلامه الا وهم يسمعون صوت الصفع في رقبة ذلك الشيخ ففر وفرت جماعته حتى خرجوا من الجامع ثم من البلد ولم نعلم اين ذهب . ووقع للامام العارف البهائي السندي صاحب الامام السهروردي ان برهمياً جاء مجلسه وارتفع في الهواء فارتفع الشيخ حينئذ في الهواء ودار في جانب المجلس فاسلم البرهمي لعجزه عن ذلك فانهم لا يقدرون على الدوران في الهواء وانما يرتفع الواحد منهم في الهواء مستوياً لا غير . وناظر عبد الله بن حنيف برهمياً على حقيقة (٢) الاسلام ليطوي مع البرهمي اربعين يوماً فشرعا فعجز البرهمي عن اكمال المدة واكملها ابن حنيف على غاية من اللذة والقوة . ووقع له مع برهمي ايضاً انه ناظره على المكث تحت الماء مدة فمات البرهمي اثناءها وظهرت جيفته وبقي ابن حنيف حتى اكملها ثم ظهر . ومما يفترقان فيه ايضاً ان دلالة المعجزة على

---

(١) قوله متوسم اي شخص الخ اه لمؤلفه

(٢) قوله حقيقة لعله حقية الاسلام اي كونه حقاً اه لمؤلفه

النبوة قطعية وان النبي يعلم انه نبي ودلالة الكرامة على الولاية ظنية ولا يعلم مظهرها او من ظهرت عليه انه ولي وقد يعلم ذلك وفاقا للاستاذين الكبيرين الامامين ابي علي الدقاق وابي القاسم القشيري وردا على من نازع في ذلك بانه ينافي الخوف فقالا وما يجدونه في قلوبهم من الهيبة والاجلال للحق سبحانه وتعالى يزيد على كثير من الخوف اه · على ان التحقيق ان علم الولاية لا ينافي الخوف الا ترى ان العشرة المبشرين بالجنة عالمون بأنهم من اهلها ومع ذلك كان عندهم من الخوف مالا يُحدُ كما يعلم من سيرهم في ذلك رضوان الله تعالى عليهم

الكرامة بعد زمن الصحابة اكثر منها قبل

وانما كانت الكرامة بعد زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم اكثر · قال احمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه لان اولئك كان ايمانهم قوياً فلم يحتاجوا الى زيادة مقو بخلاف من بعدهم فقووا بزيادة الكرامات · وقال الشهاب السهروردي وهو كالشرح لما قبله لانهم ببركة رؤيته صلى الله عليه وسلم ومشاهدته مع نزول الوحي تنورت بواطنهم وتزكت نفوسهم وانصقلت مرآة قلوبهم فاستغنوا بما اعطوا عن رؤية الكرامات واستطلاع انوار القدرة ووطاء لهذا بقوله قبله وخرق العادة قد يكاشف به لضعف يقين المكاشف رحمةً ناجزة وثواباً معجلاً لبعض العباد وفوق هؤلاء قوم ارتفعت الحجب عن قلوبهم وباشرت بواطنهم روح اليقين وصرف المعرفة فلا حاجة لهم الى رؤية خارق ولذا تكثر الكرامات للمريد الصادق في ابتداء امره لتؤنسه وتثبته فاذا كمل خفت او انعدمت عنه لعدم احتياجه اليها · ومن ثم قال الجنيد رضي الله تعالى عنه مشى قوم على الماء ومات بالعطش من هو افضل منهم · واجاب اليافعي بان الكرامة نور وزين والنور انما يظهر حسن بهائه في الظلمة والزين انما يظهر كمال حسنه بحسب الشين والظلمة والشين انما

وجدا بعد الصحابة رضي الله تعالى عنهم الا تري ان الشمس اذا غربت لا تظهر الظلمة ولا الكواكب عقب غروبها الا بعد مزيد بعدها عن الافق وبان الصحابة كانوا اهل حق وسنة وعدل ومن بعدهم بضدهم فبعث الله تعالى في سائر البلدان رجالا قلدهم سيوفا ماضية فطموا بها مواد الفساد والبدع والمخالفات حتى خافهم الناس واذعنوا لهم اي فمن ثم كثرت فيهم تلك السيوف المكني بها فلا زالت دائمة مستمرة معجزة له صلى الله عليه وسلم اه ملخص جوابيه . والثاني منهما يؤول حاصله الى الجوابين الاولين والثاني لا يصلح جوابا لكثرة المسئول عنها بل لظهور عظيم موقع الكرامة في النفوس بعد زمن الصحابة اكثر منه في زمنهم وهذا مبحث آخر على انه قد يتوهم من تمثيله بالشمس والكواكب ان الازمنة المتأخرة فيها من نجوم العارفين وكواكب المهتدين ما ليس في الازمنة الاول وهذا وان وجد(٣) منه افراد الا انه بالنسبة لغير الصحابة اذ الصواب ان من بعدهم وان كمل ما كمل لا يصل الى غايتهم كما قال صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم اي الصحابة ولا نصيفه . واما قول ابن عبد

(٣) قوله وان وجد منه افراد الخ السبب في ذلك كما اشار اليه الشيخ الاكبر في بعض كتبه انه كلما تاخر الزمان كلما كثر الفيض والاحسان على اعيان هذا العصر المتاخر لان الفيض الالهي يستحيل انقطاعه عقلا لحظة من اللحظات لانه صفة الهية والصفات الالهية لا نهاية لها ولا تتغير بزيادة ولا نقصان لانهما من صفات الاكوان وقيام الصفات المتغيرة بالذات الاقدس محال وكلما تاخر الزمان كلما قل فيه المستعدون لقبول كمال العرفان والفيض الالهي هو هو كما وكيفا اي فالحكم بالخيرية في القرون الثلاثة الاول انما هو للاكثر من اهلها كما ان الحكم بالشرية في القرون التي بعدها الوارد في الاحاديث انما هو لاكثر اهلها ايضا لان الحكم انما يعتبر فيه الاكثر دائما فكلما تاخر الزمن قل فيه اهل الصلاح والخير المستعدون للفيض الالهي فيكون نصيبهم منه اوفر وبهذا تزول شبه كثيرة فاعلم والله الموفق اه لمؤلفه

البر قد يوجد في الخلق من هو افضل من الصحابة لحديث امتي كالمطر لا يدرى اوله خير ام آخره واحاديث آخر قريبة منه فهو مقالة شاذة جدا وليس في الاحاديث دلالة لان بعض المتاخرين قد يوجد له مزايا لا توجد في بعض الصحابة ومن المقرر ان المفضول قد يتميز بمزايا ويؤيد ذلك ان ابن المبارك وناهيك به امامةً وعلماً ومعرفة سئل ايما افضل معاوية او عمر بن عبد العزيز فقال والله للغبار الذي دخل انف فرس معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من مائة الف واحد مثل عمر بن عبد العزيز يريد بذلك ان شرف الصحبة والرؤية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحلول نظره الكريم لا يعادله عمل ولا يوازيه شرف . قلت ويأتي لنا في هذا المبحث مزيد كلام يدفع تعارض ظواهر الاحاديث المذكورة وعلى نحو ما تقرر ينحل اشكال نحو حديث افرضكم زيد وحديث اقرؤكم ابيّ وحديث اعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل . ورايت في حاشية العلامة الشيخ علي العدوي الصعيدي على شرح ابي الحسن كلاماً نحو هذا على حديث معاذ المذكور صورته . اعلم ان هذا لا يقتضي تفضيله على الخلفاء الراشدين لان اولئك كملت فيهم الصفات كلها واعتدلت فلم يترجح بعضها على بعض واما هذا فقد كملت فيه صفة العلم بالحلال والحرام فتميز فيه على من لم يكمل فيه ولو سلمنا زيادته فيه على أولئك لم يقتض ذلك تفضيلاً لان المفضول قد يتميز بمزية بل بمزايا لم توجد في الفاضل لانه قد خلف تلك المزايا مزايا آخر اجلّ منها واعظم اهـ . ثم قال العلامة المحقق تنبيهات . منها نقل اليافعي رحمه الله تعالى ان كرامات الاولياء من تتمة معجزات النبي صلى الله عليه وسلم لانها تشهد للولي بالصدق المستلزم لكمال دينه المستلزم لحقيته المستلزم لصدق نبيه فيما اخبر به من الرسالة فكانت الكرامة من جملة المعجزة بهذا الاعتبار . ومنها لا نتعجب من

انكار قوم للمعجزات وان بلغت من الكثرة والظهور الى ان صار العلم بها ضرورياً بل بديهياً فقد انكر قوم القرآن الذي هو اعظم المعجزات وابهر الآيات ووصل العناد بهؤلاء الى ان قال الله تعالى فيهم (ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين) . وليس العجب من انكار المعتزلة اي وامثالهم الكرامات . فانهم قد خاضوا فيما هو اقبح من ذلك وانكروا النصوص المتواترة المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم كسؤال الملكين وعذاب القبر والحوض والميزان وغير ذلك من عظيم كذبهم وافترائهم لتقليدهم لعقولهم الفاسدة وتحكيمهم لها على الله تعالى وآياته واسمائه وصفاته وافعاله فما رأوه من ذلك موافقاً لتلك العقول السقيمة الفاسدة الاثيمة قبلوه وما لا ردوه ولم يبالوا بتكذيب السنة والقرآن والاجماع لان كلمة الغضب حقت عليهم وقبائح المذام تسابقت اليهم . وانما العجب من قوم تسموا باهل السنة وزعموا انهم من حملة تلك المنة ومع ذلك يبالغون في الانكار لان كلمة الحرمان حقت عليهم الى ان الحقتهم باهل البوار واوجبت لهم نوعاً من الوبال والخسار . وهؤلاء اقسام فنهم من ينكر على مشايخ الصوفية ومتابعيهم ومنهم من يعتقدهم اجمالاً وان لهم كرامات ومتى عين له احد منهم او رأى كرامة انكر ذلك لما خيله له الشيطان انهم انقطعوا وانه لم يبق الا ملبس مغرور احتوى عليه الشيطان ولبس عليه وهؤلاء من العناد والحرمان بمكان ايضاً . وقد قرر ابن الجوزي من الوقوع في خطرهم الا ان تكون له نية صالحة كقصده قمع مبتدعة في زمنه . وذلك انه صنف كتاباً سماه تلبيس ابليس تكلم فيه على شيوخ الصوفية وطريقتهم وزعم ان ابليس لبس عليهم . قال اليافعي ولم يدر انه هو الذي لبس عليه في كلامه هذا واعتقاده فيهم وهو لا يشعر . والعجب كل العجب منه في انكاره سادات

ما بين اوتاد وابدال وصديقين وعارفين بالله تعالى قد ملؤا الوجود كرامات وانوارا ومعارف اعرضوا في بدايتهم عما سوى الله تعالى فحصل لهم في نهاياتهم من فضل الله تعالى ما لا يعلمه الا الله تعالى . فقول الصغير منهم وقفت على باب قلبي عشرين سنة ما جاز به شيء لغير الله تعالى الا رددته هذا وهو يطول كلامه بحكاياتهم و ينفق بضاعته بمحاسن صفاتهم فهلا اخلى كتبه من ذكرهم اخلاء عاماً ولا يكون ممن يحلونه عاماً و يحرمونه عاماً اما علم ان علماء اعلام الائمة من المجتهدين ومن بعدهم من الائمة لم يزالوا قديماً وحديثاً يعتقدون الصوفية و يتبركون بهم ويستمدون منهم . ولقد وقع للتقي ابن دقيق العيد انه قال في حق فقير كان يعتقده و يخضع له هو عندي خير من مائة فقيه او من الف فقيه . وكذلك النووي رضي الله تعالى عنه كان يعتقد الشيخ يس المزين و يقبل اشارته حتى انه أمره بالسفر ورد ما عنده من الكتب المستعارة قبل موته بقليل ففعل وسافر من دمشق راجعاً لبلده نوى فتوفي بها بين اهله . وكذلك العز بن عبد السلام كان يبالغ في تعظيم الصوفية . ولقد وقع لمن انكر على فقير في سماع و بقربهم نساء انه راى ذكره فرج امرأة فبهت ساعة طويلة فقام الشيخ وجاءه وقال له هكذا تكون الفقراء اذا جلس عندهم النساء فتاب فدعى له الشيخ فعاد لحاله الاول . قلت ومثل هذا السماع لا يباح الا لمثل هذا الشيخ واتباعه المحفوظين به مع ان السماع الخالي عن المحرمات الظاهرة فيه اختلاف وتفصيل . وجاء غلمان السلطان لاخذ خراج ارض لبعض الفقراء فخرج عليهم منها ثعابين فهربوا ولم يزلوا هاربين حتى انقرض الشيخ واولاده فعادوا للاخذ من اولاد اولاد الشيخ فخرجت اليهم الثعابين وتبعتهم كذلك وانا ممن راى تلك الارض حين خرج منها الثعابين . وسرق لبعض ذرية هذا الشيخ بقرة فلما اراد السراق حلبها التفت الثعابين

بارجلهم فما خلصوا الا بالمبادرة بردها اه كلام اليافعي قدس سره ملخصاً · ولقد قال الاستاذ العارف ابو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى في قوم يكذبون بكرامات اولياء زمانهم فقط والله ما هي الا اسرائيلية صدقوا موسى وكذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم لانهم ادركوا زمنه · ومنها اي من جملة الكرامات الخوارق التي وقعت للانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل النبوة كاظلال الغمام وشق الصدر الواقعين لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فليست معجزات لتقدمها على التحدي بل كرامات وتسمى ارهاصاً اي تأسيساً للنبوة ذكر ذلك جمهور ائمة الاصول وغيرهم ومنها التحدي اي طلب المعارضة والمقابلة قال الجوهري يقال تحديت فلاناً اذا باريته في فعل ونازعته للغلبة وفي الاساس حدا يحدو وهو حادي الابل واحتدى بها حدوا اذ اغنى ومن المجاز تحدى اقرانه اذا باراهم ونازعهم للغلبة واصله الحدو يتبارى فيه الحاديان و يتعارضان فيتحدى كل واحد صاحبه اى يطالب حداه كما يقال توفاه بمعنى استوفاه واصل ذلك انه كان عند الحدو يقوم حاد عن يمين القطار وحاد عن يساره يتحدى كل منهما صاحبه بمعنى يستحديه اي يطلب منه حداه ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل مباراة · ومنها اختلفوا في السحر هل تنقلب به الاعيان والطبائع فقال قوم نعم كجعل الانسان حمارا وقال قوم لا فالساحر والصالح لا يقلبان عينا مطلقا قالوا والا لاشتبهت المعجزة بالكرامة والكرامة بالسحر ويرده مامر من امتياز المعجزة باقترانها بالتحدي · واما زعمهم ان اكثر آياته صلى الله عليه وسلم واعمها واغلبها كان بلا تحد كنطق الحصى والجذع ونبع الماء وانه لم يتحد بغير القرآن وتمني الموت وان عدم تسمية ما عدا هاتين آية ولا معجزة اقرب الى الكفر منه الى البدعة وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول عند بعضها اشهد اني رسول الله وقد سمي الله تعالى معجزات الانبياء

آيات ولم يشترط تحديا اه. فيرد بان المراد بقولهم في المعجزة لا بد من اقترانه بالتحدي الاقتران بالقوة او الفعل ولا شك ان كل ما وقع منه صلى الله عليه وسلم بعد النبوة مقرون بالتحدي لان قرائن اقواله واحواله ناطقة بدعواه النبوة وتحديه للمخالفين واظهاره ما يفحمهم ويحديهم فكان كل ما ظهر منه صلى الله عليه وسلم يسمى آيات ومعجزات. وقوله صلى الله عليه وسلم عند ظهور بعضها اشهد اني رسول الله شاهد صدق على ما ذكرته فتامله. ومنها التمييز بين الكرامة والمعجزة بامر ان لفظ المعجزة خاص بخوارق الانبياء ولفظ الكرامة خاص بخوارق الاولياء انما هو اصطلاح الخلف. واما السلف فكانوا يسمون كلا من الامرين معجزا كالامام احمد وغيره ويخصون خوارق الانبياء باسم الآية والبرهان وقد يسمون الكرامة آية لدلالتها على نبوة من اتبعه ذلك الولي كما مرّ بيانه. ثم قال العلامة المحقق في موضع آخر من فتاواه المذكورة ومن نفع الاولياء قدس سرهم للخلق ان بركتهم تغيث العباد و يدفع بها الفساد والا لفسدت الارض و يقام بهم الدين و يرشد بهم المريدون الى التطهير من كل خلق دنيء والترقي الى التحلي بكل وصف عليّ ومن ثم وقع لعارف ان تلميذه اراد الزنا بامرأة فلما هم سمع صوت شيخه من بلاد بعيدة يقول هكذا تفعل يا فلان ففرّ هاربا . ووقع لآخر مع تلميذه في نظير ذلك انه ما شعر اذ هم الا والشيخ قد لطمه لطمة اذهبت بصره فخرج وامر من جاء به الى الشيخ فقال ادع الله لي ان يرد بصري فاني تائب الى الله تعالى فقال نعم ولكن لا تموت الا اعمى فدعا له فرد عليه بصره ثم عمي قبل موته بثلاثة ايام . وكذلك وقع للشيخ ابي الغيث ابن جميل اليمني رحمه الله انه كان له تلميذ بالعجم همّ بالزنا بامرأة فضربه الشيخ بقبقابه مع زجر وغضب بحضرة الفقراء فلم يدروا ما الخبر حتى قدم الشيخ العجمي بقبقاب الشيخ بعد شهر تائبا . وكذلك وقع

للجيلاني رضي الله تعالى عنه انه رمى بفردتي قبقابه اثر وضوئه مع صرختين عظيمتين فلم تدر الفقراء ما الخبر حتى قدمت قافلة بعد ثلاثة وعشرين يوماً فاخبروا ان عرباً نهبوا اموالهم واقتسموها وهم ينظارون فنذروا للشيخ بشيء ان نجوا منهم فسمعوا الصرختين وجاءهم العرب باموالهم واخبروهم ان فردتي القبقاب جاءتا الى كبيرهم فقتلتاه فاخذوهما وهما مبلولتان وقدموا بهما اه بادنى زيادة العلامة السحيمي فيما كتبه على شرح الجوهرة للشيخ عبد السلام اللقاني و يدل لوقوع الكرامة بعد الموت . ما رواه البخاري ان بعض الصحابة روئى وهو يصلي في المسجد بعد موته . وروي ان عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه لما قتل صاحت امرأته فضربها بعض القوم بيده فصاح به عثمان بعد قطع رأسه لم ضربتها قطع الله يدك وادخلك النار في الدنيا والآخرة فبعث الله تعالى ملكاً فقطع يده ثم نفخ فيه فاشتعل ناراً . قلت ومن ذلك ما تقدم من كلام الشاب الميت عند باب بني شيبة والرجل الذي مات في السفينة وجف له البحر حتى دفن . وما اخرجه الترمذي وقال حسن غريب من ان بعض الصحابة ضرب خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها . وما رواه الطبراني مرفوعاً من تغسيل الملائكة حمزة بن عبد المطلب وحنظلة بن الراهب الذي تسمي اولاده اولاد غسيل الملائكة وكان قد خرج للغزو وهو جنب حين سمع منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج الى العدو . وعن انس في حديث رواه البيهقي وابن عدي وابن ابي الدنيا وابو نعيم مسنداً وذكره القاضي عياض في الشفا والقسطلاني في المواهب أن شاباً من الانصار توفي وامه عجوز عمياء فسجيناه بثوب وعزيناها فقالت لهم مات ابني قلنا نعم فقالت اللهم ان كنت تعلم اني اسلمت وهاجرت اليك والى نبيك رجاء ان

تعيني على كل شدة فلا تحملنّ اي لا تكلفنّ عليّ هذه المصيبة فما برحن ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا · قال في النسيم وذكروا انه عاش الى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل بقي بعده كما ذكره ابن ابي الصيف قال ملاّ علي وفيه اشارة الى ان الكرامات نوع من المعجزات بل هي ابلغ منها حيث حصل (١) للتابع ما يحصل للمتبوع من خوارق العادات هذا ولا التفات الى قول ملاّ على المذكور وليس فيه صريح دلالة على احيائه بعد اماتته لاحتمال اغمائه مع وجود سكتة لكن زال الغم بدعاء الام اه اذ ليس كل احتمال يعول عليه والا لم يسلم لنا دليل من الشريعة اصلاً كما لا يخفى على العارف على انه قد روي بلفظ آخر صريح في انه مات وغمضه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر انساً بجهازه كما ذكره الزرقاني في شرح المواهب ولما لم يطلع الملا المذكور على هذه الرواية قال ما قال فتأمل · وروى البيهقي كما في الشفا والمواهب ايضاً عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس وكان قتل باليمامة اي سنة اثنى عشرة في خلافة الصديق فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا اليه فاذا هو ميت وفي هذا الحديث دلالة على كلام الموتى · وروى الطبراني وابو نعيم وابن منده وابن ابي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت عن انس وعن النعمان بن بشير ايضاً ان زيد بن خارجة خر ميتاً في بعض اذقة المدينة فرفع وسُجّي (٢) اي غطي اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا

(١) قوله حيث حصل للتابع الخ اي فما في هذه القصة كان كرامة لام الشاب اعطيتها ببركته صلى الله عليه وسلم لدخولها في دينه فكل كرامة لولي فهي معجزة لنبيه اه

(٢) اي لشكهم في موته لكونه مات فجأة فاخروا تجهيزه ودفنه لذلك اه

انصتوا لحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق اي اثنى عليهم بخير لما ايدوا به الدين ولم يذكر عليا رضي الله تعالى عنه لان ذلك كان قبل ولايته اه وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان وذكره القاضي عياض في الشفا والقسطلاني في المواهب ايضا قال الشهاب في النسيم وقد قالوا ان ثابت بن قيس السابق ذكره اوصى بعد موته ونفذت وصيته ولم تنفذ وصية احد بعد موته الا هو وذلك انه لما قتل كان له درعان فسرقت احداهما وجعلت تحت قدر وكانت انفس درعيه فرأى رجل ثابتا في منامه فقال اوصيك بوصية فاياك ان تقول انها حلم فتضيعها اني قتلت امس فمر بي رجل فاخذ درعي ومنزله في اقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد كفى على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالدا يعني اميرهم فمره فليأخذها واذا قدمت المدينة فقل لابي بكر ان علي دينا مقداره كذا والدائن فلان وفلان وان رقيقي فلانا حر فاتى الرجل خالدا فاخبره فبعث الى من عنده الدرع فوجدها كما وصف واخبر ابو بكر بوصيته فاجازها اه. واخرج ابن ابي شيبة عن ربعي قال قيل لي مات اخوك فجئت سريعا وقد سجي بثوبه فانا عند رأسه استغفر له واسترجع اذ كشف الثوب عن وجهه فقال السلام عليكم فقلنا وعليكم السلام سبحان الله فقال سبحان الله اني قدمت على الله فتلقيت بروح وريحان ورب غير غضبان واني استأذنت ربي ان اخبركم وابشركم واحملوني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه قد عهد الي ان لا يبرح حتى آتيه. واخرج جويبر عن ابان قال حضرنا وفاة مورق العجلي فلما سجي رأينا نورا ساطعا قد سطع عند رأسه حتى خرق السقف ثم رأينا نورا سطع من وسطه ثم انه كشف الثوب عن وجهه

فقال هل رأيتم شيئاً فقلنا نعم واخبرناه بالذي رأيناه. فقال تلك سورة آلم تنزيل السجدة قد كنت اقرؤها في كل ليلة. واخرج ابن ابي الدنيا عن مغيرة بن خلف ان روبة ماتت فغسلوها وكفنوها ثم انها تحركت فنظرت اليهم فقالت ابشروا فاني وجدت الامر ايسر مما كنتم تخوفون به الحديث اه

وفي كتاب السيوف الصقال في الرد على من ينكر كرامات الاولياء بعد الانتقال ما يشفي الغليل من ذلك لكنه ليس موجوداً عندي الآن سهل الله تعالى لنا به. ثم قال العلامة السحيمي والحاصل ان كرامات الاولياء ثابتة بالكتاب والسنة والاجماع احياء وامواتاً وليس في مذهب من المذاهب الاربعة قول بنفيها بعد الموت يلتفت اليه بل ظهورها حينئذ اولى لان النفس حينئذ صافية من الاكدار والمحن فلذا قيل من لم تظهر كرامته بعد مماته كما كانت في حياته فليس بصادق ولان الله تعالى هو الذي يوجد كرامة الولي وهو سبحانه وتعالى حي لايموت اه اي فالكرامات مرجعها الى قدرة الله تعالى وارادته كالمعجزات قال الله تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فالمعجزة والكرامة من الله تعالى وانما تنسب الى الانبياء والاولياء على طريق المجاز لكونها جرت على ايديهم وبسببهم فهم وسائط واسباب في ايصال المدد الى الممدودين ولهم عليهم حق الشكر المجازي كما ان لله تعالى حق الشكر الحقيقي ولهم هذه الخصوصية ولا ينكرها عليهم الا مبعود مطموس القلب كيف وقد صح في الحديث القدسي ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه الى آخره فالذي يكون مظهرا لهذا الحديث القدسي كيف لاتخرق له العادات وتظهر على يديه الكرامات وتنكشف

بسببه الكربات وتقضى ببركته الحاجات . وقال الشريف ابن غانم المقدسي في كتابه حل الرموز اعلم ان طائفة ممن عدموا العقل وخالفوا النقل عدلوا عن الحق وصدوه فقالوا بابطال كرامات الاولياء ومكاشفات الاصفياء كالمعتزلة ومن وافقهم على ضلالهم وزعموا ان المعجزات والكرامات لا تكون الا للانبياء واحالوا ذلك من غيرهم ويكذبهم فيما انكروه العقل والنقل بالاستدلال اما العقل فمن وجهين احدهما انه لا معنى للكرامة الا ما يكشفه الله تعالى لعبده و يطلعه عليه من حقائق الاشياء وهذا من مقدور الله تعالى داخل تحت مشيئته فيجب وصفه تعالى به فكيف يستحيل وجوده مع قدرة الله تعالى عليه لانه لا معنى للنبي الا انه عبد اختصه الله تعالى واطلعه على غيبه وكاشفه بحقائق الاشياء وكذلك الولي (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) وهذا في حق النبي معجزة وفي حق الولي كرامة ثم انها ملحقة بمعجزات نبيه منسوبة اليه لان الكرامة لا تظهر الا لمن صدق في ايمانه وهو مستفاد من النبي ومن بركته فما ظهر على الولي من الكرامة ملحق بمعجزة نبيه ولا يكون في رتبة النبوة والفرق بين المعجزة والكرامة ان المعجزة يدّعيها النبي لنفسه و يستدعيها متى اراد والكرامة لا يدعيها الولي لنفسه ولا يستدعيها متى اراد بل تارة تظهر عليه اضطرارًا وتارة لا تظهر عليه اصلاً وليس من شرط الولي ان يكون له كرامة ولا يؤثر ذلك في ولايته ولا كذلك النبي فانه يجب ان يكون له معجزة لان الرسل والانبياء بعثوا حجة على الناس يدعونهم الى الله تعالى فلا بد لهم من المعجزات لاقامة البرهان ثانيهما ما يراه النائم من عجائب الرؤيا الصادقة والكشوفات الخارقة مع ركود الحواس وخمودها واحتباسها عن اشتغالها بالمحسوسات فكذلك الولي اذا قمع نفسه عن الشهوات ضعفت قوى حواسه حتى تصير كالمعدومة لانها هي التي تشغل عن الاطلاع على

الملكوتيات المغيبة وتمنع صفاء الروح لانها اذا صفت شاهدت في اليقظة ما تشاهده في النوم عند خمود الاحساسات.وكم من مستيقظ لا يبصر من يحاذيه ولا يسمع من يناديه وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون واما ما يكذبهم من النقل فكتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اما الكتاب فما قصه الله تعالى في حق مريم مع زكريا من الكرامة الظاهرة وكذلك قصتها في النخلة وليست مريم بنبية بل ولية وكذلك ما في قصة اهل الكهف وقصة الخضر مع موسى وقصة صاحب سليمان الذي اتاه بعرش بلقيس مما خصه الله تعالى به مما لا يدخل تحت قدرة سليمان. واما السنة فمنها ما روي في صحيح البخاري من حديث جريج الراهب وحديث الثلاثة الذين آووا الى الغار ومنها الخبر المشهور وهو ان عمر رضي الله تعالى عنه كان في بعض الاسفار فلقي جماعة وقفوا على الطريق خوفاً من سبع فامسك عمر باذنيه وقال انما يسلط الله على ابن ادم ما يخافه فلو لم يخف غير الله لما سلط الله عليه شيئاً ثم طرده سيدنا عمر عن الطريق ومضى الناس ومن ذلك ما روى ايضاً ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة فحال بينهم و بين الموضع قطعة من البحر فدعا الله تعالى باسمه الاعظم ومشوا على الماء وهـذه الاخبار حذفنا اسانيدها لشهرتها وصحتها والاستقصاء عما جرى وصح من كرامات الاولياء وعجائب وغرائب مواهبهم يؤدي الى الاكثار والاضجار وليس هذا هو القصد هنا وانما القصد اقامة الدليل على صحة كراماتهم ووجود مكاشفاتهم ارغاماً للجاحدين وابطالاً لكلام الملحدين انتهى باختصار . وقال سيدي عبد الغني النابلسي في شرحه للطريقة المحمدية الاولياء بعد موتهم اولياء كما انهم في حال نومهم كذلك والنوم لا يبطل الولاية والموت كذلك فكرامات الاولياء باقية بعد موتهم ايضاً كما انها باقية في حال

نومهم ومن زعم خلاف [illegible] في الكرامات فهو جاهل متعصب ولنا رسالة في خصوص اثبات الكرامات بعد موت الولي اه · فان قلت قد قال سيدي محمد الحنفي ابو محمود رضي الله تعالى عنه كما في طبقات العارف الشعراني عنه اذا مات الولي انقطع تصرفه في الكون وما يحصل لزائر من قضاء الحاجة والمدد فعلى يد القطب صاحب الوقت فيعطي الزائر على قدر مقام المزور · وقال سيدى احمد الرفاعي في كتاب حكمه تصرف الروح لا يصح لمخلوق انما الكرم الالهي يشمل ارواح بعض اوليائه بل كلهم فيصلح شأن من يتوسل بهم الى الله تعالى قال سبحانه (نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) · وكذا قال ايضاً سيدي عبد العزيز الدباغ رضي الله تعالى عنه فيما نقله عنه العلامة الكامل سيدي احمد بن مبارك في الكلام على ديوان الصالحين من كتابه الذهب الابريز ان الكمل من الاموات يحضرون الديوان ولا تقع معهم مشاورة في امور الاحياء لانهم لا تصرف لهم فيها وقد انتقلوا الى عالم آخر في غاية المباينة لعالم الاحياء وانما تقع معهم المشاورة في امور عالم الاموات · وكذلك قال في الكلام على الاشياخ الذين ورثهم سيدي عبد العزيز المذكور رضي الله تعالى عنه وعنهم من الكتاب المحكي عنه · وكان يعني احد مشايخه وهو سيدي عبد الله البرناوي رضي الله تعالى عنه يتولى التصرف في جميع من يزور الصالحين الموتى فهو ينظر في حوائجهم ويقضي ما قضاه الله تعالى منها

﴿ مطلب ما اذا كان موضع لم يدفن فيه احد وظن ان فيه ولياً ﴾

قال سيدي احمد المذكور · قال لي الشيخ هذا لما تكلمت معه في شأن بعض السادات الموتى بن كثر زيارة الناس له فظهر النفع عليه وشفاء المرضى عند ضريحه فقال ان قلوب امة محمد صلى الله عليه وسلم لها شأن عظيم عند الله

تعالى ولو انها اجتمعت على موضع لم يدفن فيه احد وظنت فيه وليا وجعلت ترغب الى الله تعالى في ذلك الموضع فان الله تعالى يسرع لها بالاجابة قال وسيدي يحيي اليوم يعني يوم هذه الحكاية هو الذي يتولى التصرف في ذلك ثم قال وقد يقع هذا ايضاً في الاولياء الاحياء فقد يكون الرجل مشهوراً بالولاية عند الناس وتقضي بالتوسل به الى الله تعالى الحوائج ولا نصيب له في الولاية وانما قضيت حاجة المتوسل به على يد اهل التصرف وهم رضي الله تعالى عنهم الذين اقاموا ذلك الرجل في صورة الولي ليجتمع عليه اهل الظلام مثله وهم الذين يتصرفون تبعاً للقدر فهو عندهم بمنزلة الصورة التي يجعلها صاحب الزرع في فدانه ليطرد بها العصافير فهي تظن الصورة رجلاً فتهرب منه وذلك في الحقيقة من فعل صاحب الفدان لا من فعل الصورة فكذلك اهل التصرف رضي الله تعالى عنهم يقيمون ذلك الرجل و يجمعون عليه اهل الظلام مثله والمتصرف فيهم خفي عنهم و لم يظهر لهم لانه حق وهم لا يطيقون الحق • قلت في الجواب عن هذا السؤال الذي لم أرَ لاحد جواباً عنه ان ما ذكره هؤلاء الاساتذة المذكورون محمول على انه كان قبل ان يعلمهم الله تعالى بالهام مثلاً (١) ان الولي يتصرف بعد الموت بدليل ان احدهم وهو سيدي ابو محمود الحنفي قد قال في مرض موته من كان له حاجة فليأت الى قبري و يطلبها اقضها له فان ما بيني و بينه غير ذراع من تراب وكل رجل يحجبه عن اصحابه ذراع من تراب ليس برجل كما نقله عنه العلامة الشنواني في حواشيه على الجوهرة والعارف الشعراني في طبقاته عن ترجمته و بهذا يحصل التوفيق بين كلامه او يقال في الجواب عن ذلك ان ما قالوه قد يكون في بعض الاوقات دون بعضها فقد قال العارف الشعراني ذكر لي بعض مشايخي ان

(١) قوله مثلاً اي بكشف اهـ

الله يوكل بقبر الولي ملكاً يقضي الحوائج وتارة يخرج الولي من قبره و يقضي الحوائج اه او معنى قول السيد الرفاعي تصرف الروح لا يصح لمخلوق انه لا تصرف لها في حال حياة الجسم و بعده الا بتصريف الله تعالى لما فقصده افادة تساوي الأمر بشأن الاموات والاحياء فقط اذ التصرف هو التمكن من اظهار الكرامة وقد قامت الادلة على جوازها ووقوعها للاولياء في الحياة و بعد المات بخلق الله تعالى وحده بل وقوعها بعد الموت امكن كما مرّ بيانه و ياتي له مزيد - على انه قد يستدل من القرآن الشريف لثبوت تصرف الاكابر بعد الموت بقوله تعالى (والنازعات غرقاً) الى فالمدبرات امراً بناء على تفسيرها بالنفوس الفاضلة المفارقة لابدانها بالموت كما في البيضاوي وغيره

﴿ الدليل من القرآن الشريف على تصرف الصالحين بعد الموت ﴾

وهذه عبارة محشيه العلامة الخفاجي قال يحتمل ان المراد بالمدبرات الملائكة وان النفوس بعد الاستكمال ومفارقة البدن ودخولها في الحظائر المقدسة تلحق بالملائكة ولذا الفت المقام الاعلى وصلحت للخلود او هو يعني فالمدبرات امراً صفة للنفوس المفارقة العالية فانها بقوتها وشرفها تصلح للوصف بانها مدبرة كما قال الامام انها بعد المفارقة قد يظهر لها آثار واحوال في هذا العالم فقد يرى المرء استاذه بعد موته فيرشده لما يهمه . وقد نقل عن جالينوس انه مرض مرضاً عجز عن علاجه الحكماء فوصف له في منامه علاجه فأفاق وفعله فأفاق . وقد ذكره الغزالي ولذا قيل اذا تحيرتم في الامور فاستعينوا من اصحاب القبور الا انه ليس بحديث كما توهم . قلت ممن توهم ذلك الشيخ علي القاري في شرحه على مختصر الاحياء اه ثم قال العلامة الخفاجي ولذا اتفق الناس على زيارة مشاهد السلف والتوسل بهم الى الله تعالى وان انكره بعض الملاحدة في عصرنا والمشتكى اليه هو

الله تعالى انتهت . وفي اواخر فتاوي شيخ الاسلام الرملي سئل عما يقع من العامة من قولهم عند الشدائد ياشيخ فلان و يا رسول الله ونحو ذلك من الاستغاثة بالانبياء والمرسلين والاولياء والعلماء والصالحين فهل ذلك جائز ام لا وهل للرسل والانبياء والاولياء والصالحين والمشائخ اغاثة بعد موتهم وما ذا يرجح ذلك . فأجاب بأن الاستغاثة بالانبياء والمرسلين والاولياء والعلماء والصالحين جائزة ولهم اغاثة بعد موتهم لان معجزة الانبياء وكرامات الاولياء لا تنقطع بموتهم اما الانبياء فلانهم احياء في قبورهم يصلون و يحجون كما وردت به الاخبار وتكون الاغاثة منهم معجزة لهم والشهداء ايضاً احياء شوهدوا نهاراً جهاراً يقاتلون الكفار واما الاولياء فهي كرامة لهم فان اهل الحق على انه يقع من الاولياء بقصد و بغير قصد امور خارقة للعادة يجريها الله تعالى بسببهم والدليل على جوازها انها امور ممكنة لا يلزم من جواز وقوعها محال وكل ما هذا شأنه فهو جائز الوقوع وعلى الوقوع قصة مريم ورزقها الآتي من عند الله على ما نطق به التنزيل وقصة ابي بكر واضيافه كما في الصحيح وجريان النيل بكتاب عمر ورؤيته وهو على المنبر بالمدينة جيشه بنهاوند حتى قال لامير الجيش يا سارية الجبل محذراً له من وراء الجبل لكمن العدو هناك وسماع سارية كلامه و بينهما مسافة شهرين وشرب خالد السم من غير تضرر به وقد جرت خوارق على ايدي الصحابة والتابعين ومن بعدهم لا يمكن انكارها لتواتر مجموعها و بالجملة ما جاز ان يكون معجزة لنبي جاز ان يكون كرامة لولي لا فارق بينهما الا التحدي وسئل ايضاً عمن قال من كرامات الولي ان يكون للشيئ كن فيكون فهي عن ذلك فقال من انكر ذلك فعقيدته فاسدة فهل ما ادعاه صحيح او باطل فاجاب بأن ما قاله صحيح اذ الكرامة الامر الخارق للعادة يظهره الله تعالى على يد وليه وقد قال

الائمة ما جاز ان يكون معجزة لنبي جاز ان يكون كرامة لولي لا فارق بينهما الا التحدي فمرجع الكرامة الى قدرة الله تعالى نعم ان اراد استقلال الولي بذلك فهو كافر اه

مطلب في ما ذكره الحموي محشي الاشباه في رسالته نفحات القرب
(والاتصال باثبات التصرف للاولياء بعد الانتقال)

وقال العلامة الشيخ احمد الحموي الحنفي محشي الاشباه في رسالته نفحات القرب والاتصال باثبات التصرف لاولياء الله والكرامة بعد الانتقال عقب ان اثبت الكرامة بعد الموت وقال انه قول اهل الحق من جميع المذاهب ما نصه : واما ما يتعلق بالتصرف فاعلم ان تصرف الاولياء حال حياتهم من جملة كراماتهم وهو كثير في كل زمان لا يشك فيه ولا ينكره الا معاند واما بعد مماتهم فانما هو باذن الله تعالى ايضاً وارادته لا شريك له في ذلك خلقاً وايجادا اكرمهم الله به واجراه على ايديهم و بسببهم خرقاً للعادة تارة بالهام وتارة بدعائهم وتارة بفعلهم واختيارهم وتارة بغير اختيارهم ولا قصد ولا شعور منهم بل قد يحصل من الصبي غير المميز وتارة بالتوسل الى الله تعالى بهم في حياتهم و بعد مماتهم مما هو ممكن في القدرة الالهية ولا يقصد الناس بسؤالهم ذلك منهم قبل الموت وبعده بنسبتهم الى الخلق والايجاد والاستقلال بالافعال فان هذا لا يقصده مسلم ولا يخطر ببال احد من العوام فضلاً عن غيرهم فصرف الكلام اليه ومنعه من باب التلبيس في الدين والتشويش على عوام الموحدين فلا يظن بمسلم بل ولا بعاقل توهم ذلك فضلاً عن اعتقاده وكيف يحكم بالكفر على من اعتقد ثبوت التصرف لهم في حياتهم و بعد مماتهم حيث كان مرجع ذلك الى قدرة الله تعالى خلقاً وايجاداً كيف وكتب جمهور المسلمين طافحة به وانه جائز وواقع لا مرية فيه البتة

حتى كاد ان يلحق بالضروريات بل البديهيات وذلك لان جميع كرامات هذه الامة في حياتهم و بعد مماتهم تصرفاً او غيره من جملة معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته وعموم رسالته الباقية بعد موته التي لا ينقطع دوامها ولا تجددها بتجدد الكرامات في كل عصر من الاعصار الى يوم القيامة انتهى . نعم يجب اعتقاد ان الولي لله تعالى قد يدعو فتارة يستجاب له وتارة لا يستجاب له و يريد الامر فتارة يقضى وتارة لا يقضى كما وقع للانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لان الذي يفعل ما يشاء و يختار ولا يلحقه عجز اصلا هو الله تعالى وحده الا ترى انه سبحانه وتعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم (ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون) وقال له ايضاً (انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء) وقال صلى الله عليه وسلم سالت ربي عز وجل اثنين فاعطانيهما وسالته اثنين فمنعنيهما قال الله تعالى (قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذاباً من فوقكم) فقلت اعوذ بوجهك الكريم فقال قد فعلت (او من تحت ارجلكم) فقلت اعوذ بوجهك فقال قد فعلت او يلبسكم شيعاً) فقلت اعوذ بوجهك فقال سبق القضاء (و يذيق بعضكم بأس بعض) فقلت اعوذ بوجهك فقال سبق القضاء وقال تعالى في سؤال نوح نجاة ابنه من الغرق (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يانوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين) وقال تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً) . و يجب ايضاً اعتقاد ان الولي قد تظهر المخالفة على جوارحه لان العصمة من خصائص النبوة والولاية لا تزاحم النبوة

ولذا لما وقع بعض الاولياء في معصية ثم قام يمشي على وجه الماء وسئل عن ذلك قال ذاك قضاؤه وهذا عطاؤه وبسط الكلام وتمام المقام في الذهب الابريز وغيره من كتب ائمة الاسلام فان اردت المزيد على ما هنا فارجع الى ذلك . هذا

وقد رأيت لسيدي عبد الغنى النابلسي رضي الله تعالى عنه رسالة لطيفة في جواز اضافة التأثير الى الاسباب ذكر في كتابه النوافح الفائحة بروائح الرؤيا الصالحة ان سبب تأليفه للرسالة المذكورة هو انه قد جرى بينه وبين رجل من المنكرين على الاولياء الاموات كراماتهم بعد الموت وكان يخفي ذلك عنه كما حاوره الكلام فيه وان المؤلف نام تلك الليلة فرأي كأنه صنف رسالة في بحث كرامات الأولياء وصدور التأثير منهم في قضاء الحوائج بعد موتهم وسماها برد الجاهل الى الصواب في جواز اضافة التأثير الى الاسباب وانه عرضها على بعض اخوانه ففرح بها ثم استيقظ قال وكانت ليلة السبت الموافقة لثمانية وعشرين مضت من صفر سنة ١٠٩١ ثم لما اصبح اخذ القلم وصنفها وسماها بذلك الاسم في اقل من نصف يوم فكانت غاية في بيان الحق والصواب عند اولي الالباب وكان في عزمي ان اسردها هنا بحروفها لتستحضر فوائدها ولكن خشية التطويل صرفت العزم المذكور فاقتصر الآن على ايراد معظمها وان كانت في بعضه موافقة لبعض ما قدمته ليتقوى به ما ذكرته فاسمع الآن بلغنا الله تعالى المنى بامان

﴿ رسالة سيدى عبد الغنى النابلسي في جواز اضافة التأثير الى الاسباب ﴾

قال رضي الله تعالى عنه في طالعتها هذه رسالة عملتها في صحة نسبة التأثير الى شئ بحسب الظاهر على يد الانسان الولي وغيره من الميت والحي وان هذه النسبة مجازية واردة في الشرع لا يكفر القائل بها ولا مخالفة فيها لأصل